

دموع الياسمين

منى سليمان

دار جهاد للنشر والتوزيع

٢٠١٢



الكتاب | دموع الياسمين

الكاتب | منى سليمان

الطبعة | الثانية

رقم الايداع | ١٦٢٠٦-٢٠١٢

الترقيم الدولي | ١-٩٨-٥٦٨٤-٩٧٧-

isbn ٩٧٨

الناشر | دار جهاد للنشر والتوزيع



إهداء

إلى أمى..... بحر الحنان فى حياتى

منى سليمان



دموع الياسمين

(١)

خرجت القرية برجالها ونساءها وأطفالها
للبحث عنى .. كنت طفلة صغيرة فى الثانية
عشرة من عمرى ، خرجت من الصباح ولم
أعد إلى البيت ، لم يلاحظ أحد تغيبى طيلة
اليوم ، فقد كان خروجى من البيت كل يوم
من الصباح المبكر أمر طبيعى ، فنحن فى
عطلة نهاية العام

كذلك أنا لم يكن أحد يسأل عنى أو يهتم
لأمرى ، برغم أننى لست يتيمة ، فلى أب
ميسور الحال ومتعلم فى قرية كان عدد
المتعلمين فيها قليل ، وأم ربة بيت جميلة
ومن بيت كريم ، ولى أعمام وعمات
وأخوال وخالات .

كنت أقضى كل يوم فى بيت من هذه البيوت
الكثيرة ، ولكننى هذا الصباح خرجت ولم
أعد ، فى المساء بحثت عنى جدتى لأنام

معها فلم تجدنى ، خرجت الجدة تمر على
منازل الأسرة التى تعودت أن أزورها يومياً
فلم تعثر لى على أثر .

كانت جدتى تُقابل بإجابة واحدة.....

"ستعود هى هتروح فين !"

كان آخر بيت تزوره جدتى هو بيت امى
التى شعرت بألم يعتصر قلبها وصرخت
ابنتى أين ذهبت ؟

عندما صرخت أمى كانت هذه الصرخة هى
بداية البحث عنى .

وعُرضت على أمى وجدتى إقتراحات
كثيرة بكيفية البحث .

أول هذه الإقتراحات كان أن يُنادى علي فى
ميكرفون المسجد وقد نُفذ الإقتراح على
الفور ولكن دون إجابة .



كانت قدرة أمى على الإحتمال تنهار فى كل
دقيقة .. دقائق الساعة تعلن العاشرة مساءً
وأنا لم أعد. كان هناك سؤال واحد يتردد
على السنة الجميع . تُرى أين ستكون وإلى
أين ذهبت . هل خطفت؟ كادت أمى تُجن أما
جدتى فقد عاودتها آلام القلب فحُملت إلى
البيت ولازمته.

الكل يبحث إلا أبى فلم يعلم أننى مختفية فقد
كانت تمر الشهور ولا يرانى ، وكذلك أمى
عندما وصلت السيارة التى يركبها أبى إلى
موقف السيارات قابله دسوقى صاحب
المقهى قائلاً له (إذهب الى المسجد الكبير
يا استاذ على فالكل مجتمعون للبحث عن
إبنتك)

جن جنون أبى فقال :

- بنتى ؟ راحت فىن؟

كانت زوجته فى بيتها تجلس أمام التلفاز ،
دخل إلى البيت وسألها ماذا حدث ؟
قالت له :

- جت مرات عمك وسألتنى على ياسمين
فقلت لها مجتش ولا شفتها .

كانت نظراته قلقة وحائرة .

- هقوم أحضر لك الأكل .

- أكل إيه وبنتى مش لقبينها .

- متخافش عليها البلد كلها بتدور هترجع
دى زى الجنية البرانى ، راجعة لك ولا زى
مركوب أبو القاسم على رأى نعمان .

أراد أن يلطمها على وجهها فنظرت له
نظرة متحديه فخفض يده على الفور وسألها

- لو كانت دى ابنتك ؟

شبهت ووضع يدها فى جنبها ثم نظرت
له نظرة تحدى وتعالى ورفعت صوتها قائلة

- بنتى بعد الشر... لو بنتى كنت هعرف
أربيها لكن دى محدش رباها ، و جدها
دلعا .

خرج أبى وتركها بعد أن يأس من الحديث
معها ليبحث مع أهل البلدة عنى فكان
الحشد قد وصل إلى المقابر .

قال أحد الفلاحين :

- ربما تكون جاءت إلى مقبرة جدها فكثيراً
ما كانت تتردد على المقبرة ، وتجلس
تحدث جدها بالساعات .

ثم خفض صوته مشفقاً من هول ما سيكمل
به جملته .. ربما نامت أمام القبر أو أصابها
شئ .

سمعت الأصوات تناديني ياسميين
ياسميين..... الكل ينادى وأنا صامته ،



حتى سمعت صوت أمى تصرخ منادية علىّ

: يا سمين!!

خرجت من القبر . وأردت أن أذهب إلى
أمى ، الظلمة شديدة لا أستطيع الرؤية . لا
أستطيع رؤية الأرض . لا أستطيع رؤية
يذى الممدودتين أمامى . كان صوت نبضى
شديداً اشعر به خلف أذنى . كان خوفى
أقوى من التفكير فى أى شىء ويحجب كل
شىء... كان البرد شديد لا يجوز لى التفكير
فى البرد أو الخوف . الست انا التى قررت
البقاء فى القبر . إنتظاراً للموت .

إذا كانت الحياة تكراراً مملأ وإحباطاً محبطاً
فسيكون الموت جميلاً فقط لو جاء فجأة
ولم أضطر لإنتظاره وسط هؤلاء الأحياء .

مذ وفاة جدى وأنا أشعر أنى مت ، أن
جزء منى قد مات ودفن معه ، هل يجوز
لمن قررت إنتظار الموت التفكير فى
الخوف أو فى البرد .. لكن البرد

يؤلمنى ليلة من ليالى شهر سبتمبر المؤلمة
. كان الإحساس بتدفق الهواء فى انفى
محملاً برائحة المقابر العطنة يزعجنى .
هواء سيئ ورائحة سيئة . إمتلأ قلبى
بالرعب . لا يزالون ينادوننى فتتقلص
معدتى . سوف أصاب بالغثيان . لو كان فى
معدتى أى طعام لتقيأته على الفور . لكنها
كانت خاوية . لقد أصبحوا قرييين جداً .
سيعثرون على ..

فشلت خطة هروبي . أعلم أن الإنتحار
حرام فلم أكن أريد الانتحار أردت إنتظار
الموت فقط . ف أتيت هنا لأنتظره بعيداً
عنهم . هم جميعاً معاً وأنا وحدى لقد فشلت
. أعلم ما سيقولونه الآن لقد أفسدها تدليل
جدها لها . حمدت الله أن الظلمة ستبتلعنى
فلا يروننى لكنهم يحملون معهم ((كلوبات))
تملاً بالكيوروسين كان يستخدمها أهل
الريف فى ذلك الوقت لتتير لهم عتمة الليل

بعد قليلا سيرونى ويعيدوننى إلى عالمهم
مرة أخرى . كانت الظلمة الشديدة تبتلع كل
شيئ إلا ذلك الوجه الذى أراه أمامى الآن
وتلك

العينين اللتين تشتعلان لهما . من أين جاء
أسمع صوت أنفاسه واشم رائحته ، هل هذا
كلب أم ذئب ؟

لا أعلم يشبه الكلب وحجمه كبير ويزمجر
فى وجهى غاضباً

هل تجاوزت حدودى وأعتديت على أملاكك
هذا القبر ليس ملكك إنه قبر جدى ، لم أرث
من جدى غير هذا القبر

زمجر مرة أخرى وكأنه إستمع إلى أفكارى
الخائفة جعلت هذه الزمجرة رعدة من
الخوف تسرى فى ظهرى . إنه رد فعل
غريزي إنه حب البقاء . لكن لا يوجد سبب
يجعلنى أحب الإنتماء لتلك الحياة بطبيعة
الحال .. جنئت أتمنى الموت وها هو يقف

أمامى متحزراً فى صورة حيوان برى
سيفترسنى فى لحظات قبل وصولهم إلى .
أرى الأضواء تقترب منى وأنا خائفة .
لازمت مكانى ولم أستطع الصراخ حتى
ينقذونى ، سمعت هسيس الخطوات تقترب
شبيهاً فشيئاً والأصوات تتضح وأسندت
ظهري إلى حائط قبر جدى . فلتحمى
ظهري يا جدى ، كما حميتنى طيلة حياتك ،
بدأت فى قراءة آيات القرآن الكريم ، تركنى
الذئب وإبتعد خائفاً عندما رأى اقتراب
الناس ، واصلت قراءة ما أحفظ من القرآن
. كنت قد تركت حفظ القرآن منذ وفاة جدى
، قلت فى نفسى أعاهدك يا ربي أن أعود
لحفظ القرآن مرة أخرى ، كنت فى هذا
القبر منذ الصباح ، لا أذكر أخر مرة
تناولت فيها الطعام فكانت معدتى تصرخ
من الجوع . لكننى دخلت المقبرة مرة
أخرى لا أريدهم أن يجدوننى أنا لا أخشاهم

ولا أخشي عقابهم . لكنهم لا يريدوننى ..أنا
أيضا لا أريدهم .

حتى أمى هذه التى تصرخ وتولول حزينة
من أجلي فقد كنت دوماً مصدر تعاستها .
والشيئ الوحيد الذى يعكر صفو هناءها مع
زوجها وأولادها . رأيتهم يقتربون ..أردت
أن أصرخ فى وجوههم ارحلوا لا أريدكم .
لقد نسيتم وصية جدى ، ألم يوصيكم بى؟ .

هذا نعمان زوج أمى يمسك يدها ويحتضنها
حتى لا تسقط ..كم أكره هذا الرجل أكرهه
أكثر مما أكره الشيطان فهذا الرجل سر
مأساتى .

تقدم نعمان للزواج من أمى قبل زواجها من
أبى . كان يحبها فتقدم لها أكثر من مرة ،
لكن جدى كان يرفضه لأنه عاطل ، وأمه
تنفق عليه .. حتى أرضه لا يزرعها ، ولاهم
له فى الحياة سوى الجلوس على المقهى .

وتزوجت من أبي ابن شقيقه المتعلم ، فبعد حصول أبي على مؤهل متوسط ، أكمل تعليمه فى الجامعة ، وبرغم أنه مجند منذ حرب ٦٧ إلا أنه يزرع أرضه ، وهو بالإضافة الى ذلك محبوب من الجميع .

لكن أمى كانت مشاعرها تنبض مع نعمان ، الذى يجيد كلمات الغزل ، ويحفظ الأغانى ، ولا يمل من ارسال الخطابات ، يرتدى جلبابه الأبيض المزهر ، ويجلس على المقهى أمام البيت ، يضع يده على قلبه منتهداً من وقت للأخر ، ظنا منه أن أمى تنظر ناحيته من خلف الشيش .

لم تستمر هذه الزيجة أكثر من ستة أشهر فلقد بدأتها أمى باكية العينين ، وخرجت منها أيضاً باكية العينين ، خوفاً على الجنين المستقر فى أحشاءها ، لكن خوفها ذلك لم يجعلها تصبر وتحمل . أما أبي فلقد كانت كرامته أيضاً أهم من أن يستمر فى هذه الزيجة التى فرضت عليه كما فرضت عليها

كانت رغبة والده هي ما جعلته يتزوج من
ابنة عمه . فى الحقيقة هو لم يكن ينوى
الزواج أو يخطط له . كان يريد أن يكمل
تعليمه الجامعى . ويسافر ليرى العالم لكن
الحرب قد طالت وفترة تجنيده قاربت على
أربعة أعوام ولا يعلم متى تنتهى . فحقق
رغبة والده ، واستقبل عروسته متعجباً من
دموعها ، ومن حزنها وكآبتها بين يديه ،
ظن أنها ككل فتاة تخشى الزواج وترهب
ليلة الدخلة ، فإقترب منها مطمئناً لكنه
وجدها تنفر منه وإستمر نفورها وإعراضها
عنه ، وإستمر هدوءه وصبره فهى إبنة عمه
الذى يحبه ويحترمه كما يحبه الجميع ، لم
يكن يقدر على الشكوى منها ، لأى شخص
لكن جلسة الحشيش التى جمعته مع خليل
زميله فى الجيش حلت عقدة لسانه . فأفشى
سره ، فأخبره خليل بحب زوجته من نعمان
وحب نعمان لها . لطمه على وجهه فقال
خليل :

- وأنا مالى اسأل البلد كلها كل البلد عارفه
انه اتقدم لها وابوها رفضه .

- أنا عارف إنه اتقدم لها واتقدم لها كثير
غيره تبقي بتحبهم كلهم ؟

ضحك خليل ضحكته الصفراء :

- طبعا يا على افندى هتلاقى زوج زيك
. ثم اكمل ابنتامته التى تعلن كذب كلامه

عاد أبي للبيت وطالب أمى أن تصارحه

فصارحته بأنها لا تحبه ولا تحب نعمان
وأنها لم تكن تريد الزواج ، وكانت هذه
الحقيقة فهى لم تتحدث يوماً مع نعمان أو
غيره لكنها مع ذلك كانت تريده .

- يعنى يا بنت الحلال أبوكى غصبك
تتجوزينى ؟

نزلت دموعها وقالت بهمس :

- لأمحدث غصبنى .

- طيب مالك ليه حزينه ليه مهمومه.

لم ترد عليه فلم تكن تعرف ماذا تريد كل ما كانت تعلمه أنها لا تريده ولا ترتاح معه ولا تطيق صوت أنفاسه ..تشعر بالسعادة عندما يسافر للجيش ، وينقبض قلبها عندما يأتى فى أجازة ، الأسبوع الذى يقضيه معها يمر كأنه دهر كامل .

- طلباتك إيه؟ وأنا أنفذها لك ..ردى عليه
يا سامية . إنت بنت عمى وأم ابنى ولا بنتى
الجايين .

لم ترد.. ظلت صامته مطرقة تداعب بيدها
التطريز على ملاءة السرير .

- إرفعى وشك وكلمينى زى ما بكلمك.

عايزة إية ردى ؟ عايزة تتطلقى وترجعى
بيت أبوكى مهو أنا مرضاش أعيش مع
واحد كارهانى .

صمتت ولم ترد

هزها بعنف وضعت يدها على بطنها كنت
أتحرك في أحشائها ضغط على يدها أكثر
فألمتها ذراعها

- ردى عايزة تتطلقى ؟

هزت رأسها موافقة

- أسمعها منك قولى عاوزة تتطلقى قولى
عاوزاك تطلقنى .

وزاد من الضغط على يدها فقالت :

- عاوزة اطلق .

فرد من فوره : أنت طالق .

وملاً المخلة بملابسه التى لم تغسل بعد ،
وعاد إلى كتيبته دون أن يودع أحد ، فى
الصباح خرجت امى من البيت ، وعادت
إلى بيت والدها

وهكذا استقبلتنى الحياة بعد ثلاثة أشهر من
طلاقهم.. ولدت لأم حزينه وأب لاه لا يريد

أى شىء يربطه بهذه المرأة ولا يريد أى
ذكرى لهذا الزيجة التعيسه حتى أنه عندما
علم بمولدى لم يطلب رؤيتى .

لكن الله عوضنى بجدى ، أطيب قلب فى
الوجود . رجل وقور.. ثرى ، يهابه
ويحترمه الجميع .

كان جدى الشيخ عبد الله قد حفظ القرآن
الكريم فى كُتاب القرية صغيراً ثم درس
قليلاً فى الأزهر الشريف ، لذا كان متنوراً
يحب العلم ويجالس العلماء والأعيان .. بنى
دار ضيافة بجانب بيته ليجلس بها ضيوفه
الوافدين من خارج القرية . يجتمع عنده كل
ليلة الأكابر والمتفقين .

كان جدى هو أول وجه أفتح عينى لأراه ،
ملاً بحبه قلبى وملاً حبي قلبه لا يصبر على
فراقى ساعة لذلك كان يصحبنى معه فى
حله وترحاله ، يجلسنى خلفه على حصانه

أجلس معه فى مجالسه العرفية ، ومجالس
السمر التى يحضرها شاعر الربابة ، أو
مقرئ القرآن الكريم أو أى وافد يفد على
قريتنا كانت مضيئة جدى مقصده لذا كنت
مدللة يحسن الجميع معاملتى إكراماً لجدى .

رأيت أقدامهم أمام القبر مد أحدهم يده التى
تحمل الكلوب ووضعها فى فتحة القبر ثم
نادى وجدتها وجدت ياسمين ومد شخص
آخر يده وسحبنى فأخرجنى من القبر .

وقفت على قدمى قليلاً أوصلونى لحضن
أمى التى تُلقتنى مرتعدة نظرت فى وجهها
ثم غامت الدنيا أمام عينى ولم أعد ارى
شئى .

عندما فتحت عينى مرة أخرى وجدتنى فى
حجرة جدتى وبجانبى أمى التى كانت تربط
رأسها بإيشارب لونه أخضر تضغط به
جبهتها كأنها تعانى من الصداع وتضغط
بيدها الكمادة على جبينى . كانت تحتضننى

وكنت اشم رائحتها ، لطالما أحببت هذه
الرائحة ، رائحة امي ترتبط بداخلي بذكري
لا اعلمها لكنى أحبها ، أردت أن أملاً قلبي
بتلك الرائحة حتى لا أشم غيرها .

طرق الباب ودخل نعمان . كانت نظرتة
مألوفه بالنسبة لى كنت أحتار فى تبرير سر
قسوته معى.. نعم إنها نظرة يريدنى من
خلالها ان أشعر بقسوته . كان حاجباه
الأسودان معقوفين قليلاً فوق عينين بهما
شئى من الجحوظ . منذ تزوج أمى عندما
كان عمى عامين وهو يلقانى بتلك النظرة
. فيتولد بداخلى شعور بالغضب ممزوج
بالتوتر والإنزعاج . كنت دوماً أعتبر نفسي
قوية ولا أشعر بضعفى إلا امام هذا
الشخص جعلنى احساسى بالضعف أرتعد
وأنكمش . ضعفى هذا وخوفى منه جعلنى
أشعر بالعار .

سالنى :

- عامله إيه يا ياسمين كده تخضينا عليكي
عامله إيه يا بنتى .

قالت امى :

- ردى على عمك نعمان يا ياسمين

لم يخرج صوتى إلا همسا قلت :

- الحمد لله على كل حال .

جلس ينظر ناحيتى فالتقت عيناه بعيني ،
كان على وجهه تعبير غريب جداً غضب
ممزوج بالكراهية .

خرجت أمى وأخرجته من الحجرة عندما
شعرت أننى أصبت بالتوتر من وجوده معى
فى نفس الحجرة . كنت أشبه أمى كثيراً
نفس الوجه البشرية العاجية والعيون التى
يصعب تحديد لونها هل هى خضراء أم
زرقاء ام عسلية فهى خليط من كل ذلك لكن
شعرها اغمق من شعرى .

سمعت جدتى تقول لخالى :

- لو ياسمين جرا لها حاجه أنا مش هسامح
نفسى أبدا أنا السبب فى كل اللي جرا لها .
ثم سقطت دموعها على وجهى

نعم جدتى لها دور كبير فيما أصابنى من
الأضرار ، وكان لها دور كبير فى زواج
أمى من نعمان ، برغم حبي لها ، إلا أننى
أجد صعوبة فى مسامحتها على ذلك .

(٢)

أغمضت عيني ومر عليها شريط حياتي ،
أرادت جدتي الإطمئنان على أمي ، فأرسلت
إلى أبي قريبة لها ، تطلب منه بطريق غير
مباشر أن يعيد أمي لعصمته ، حتى يقوما
بتربيتي معاً ، لكن أبي فهم الأمر وشعر
بالزهو لكرامته الذبيحة وأعلن رفضه وكان
رده قاسياً قال :

- روى لزوجتي عمى وقولى لها بنتك دى
متنفّس ست أصلا ، وأنا خطبت سنية أخت
خليل صاحبي ، وهتجوزها بعد شهرين .

ثارت جدتي لكرامتها ، وقررت تزويج أمي
من نعمان قبل أن يتزوج أبي من سنية ،
وإحتالت للأمر فتم لها ما أرادت ، وكان
شروط جدى أن أبقى معه ولا أذهب لأعيش
فى بيت زوج أمى وتم الأمر على ذلك .

فد عشت فى بيت جدى كأميرة ، أعامل كما
تعامل الأميرات ، أحضر معه مجلسه أسمع

الأعمار . ربما كنت أرى الحياة بطريقة
مختلفة عما يراها الناس .

إشدد الصراخ وتمزقت بعض الكتب . دخل
المعلم الفصل فجأة ، وهاله ما رأى فقرر
معاقبة الفصل كله بالضرب عندما جاء
دورى لم أفتح يدي وقلت للمعلم :

- لماذا أضرب وأنا لم أفعل شيئاً إسألهم
جميعاً لم أتحرك من مكانى ولم أعب ؟

تطوع بعض الأولاد للرد قائلين :

- ياسمين لم تشارك فى اللعب .

قال المعلم الحسنة تخص والسيئة تعم . كان
صوته صارماً مملوءاً بالقسوة . لم أفهم
معنى ما قاله ولكنى صممت على أغلاق
يدي . لم أفتح يدي فقام بضربي على كتفي
ولطمنى على وجهى إزداد عنادى
وإستمررت فى رفض فتح يدي وإستمر

يضربنى ويلطمنى حتى دخل الأستاذ فخرى
مدرس اللغة العربية وأبعده عنى قائلاً :

- على مهالك يا استاذ عاطف دى
مابتتضربش .

- ليه على راسها ريشه هتتضرب زى
زمايلها .

- لا يا سيدى الفاضل لا ريشة ولا غيره
لكن هى مؤدبة ومتفوقة وجدها صاحب
أفضال على الجميع . ماذا فعلت ؟

قال المعلم :

- ستضرب مثل باقى الطلاب .

أخذه الاستاذ فخرى من يده وأخرجه من
الفصل

التف حولى زملائى من ضرب ومن لم
يضر ب بعد ، كانت أكفهم تمسح دموعى ،
وتربت على كتفى .

جاء الناظر بصحبة الأستاذ فخرى وطلب
منى ألا أخبر جدى حتى لا يغضب ، وفعلاً
كنت قد قررت ألا أخبره ، لأنه لو علم لن
يدع الأمر يمر بسلام .

عدت إلى البيت ودخلت حجرتى ، رفضت
تناول الطعام حتى لا تلاحظ جدتى وجهى
فكل صديقاتى قلن لى أن وجهى و عيونى
محمرة ،

وقالت منال صواب المعلم إالى يتشك فى
دراعه مرسومة على وشك

نمت طويلاً وأستيقظت على صوت جدى
يسأل عنى خرجت وإرتميت فى احضانه
ونسييت ما حدث لى عندما رأى وجهى
أصابه الفزع وغضب غضباً شديداً ، عندما
حكيت له ما حدث فى الصباح أوصلنى
خالى إلى المدرسة كما يوصلنى كل يوم ،
دخل المعلم الفصل ونظر إلى مبتسماً
، وكأنه قد نوى أمرا لم تعجبنى إبتسامته

طلب منى أن أخرج لمسح السبورة لم يكن
يعهد بمسح السبورة إلا للأولاد المقصرين
ولم أخرج لمسح السبورة من قبل ، لكننى
استلمت البشورة وبدأت أمسح السبورة فبدأ
المعلم الجديد ذو الشعر الأسود اللامع
المدهون بالفزليين . يختار لى أصعب
الاسئلة أملاً منه بأن أخطئ فيعاقبنى ثانية ،
لكنه لم يكن يعلم مقدار تفوقى فلم أخطئ فى
أى سؤال .

ترك الحساب بعد أن سمعت له جدول
الضرب ، وبدأ فى اللغة العربية طلب منى
أن أسمع الأناشيد وسألنى فى معانى
المفردات يأس تماماً منى لكنه ظل مستمراً
فى محاولة الإيقاع بى وجعلنى أخطئ حتى
أعاقب لم يكتفى بما صنعه بالأمس المسألة
إذا مسألة تحدى .

فجأة سمعنا صوت ضوضاء شديدة وفتح
الباب فى مشهد أسطورى ، فوجئنا جميعاً
بدخول جدى للفصل ممتطياً حصانه

الأبيض ، أمسك المعلم من كتفه وهزه هزة
عنيفة فما كان من المعلم إلا أن قال :

- هو فى إيه هو أحمد عرابي لسه عايش
ولا إيه !

ابتسمت رغما عنى عندما رأيت إرتعاش
المعلم بين يدي جدى .

قال جدى للمعلم كلمات كثيرة غاضبه لم
أفهم كلامه لكنى رأيتة مرسوماً على وجه
المعلم

جاء الناظر والمعلمون وحاولوا تهدئة ثورة
جدى واتفقوا أن يأتى الناظر وكل العاملين
بالمدرسة ليعتذروا لى فى بيت جدى عما
بدر من هذا المعلم الأحمق ، لم أكن أشفق
عليه ، فقد كرر خطأه ، متناسياً أنى مجرد
طفلة صغيرة .

نادتنى أبله سعاد قائلة :

- متنشيش يا ياسمين قولى لجدتك أن
المدرسات مش هيبجوا العزومة بكرة خلى
جدتك تبعت لنا نايبنا وتتوصي بالفطير .

ركبت خلف جدى على حصانه وأنا أفكر
لماذا يعاملنى جدى هكذا ، هل نزع حبي
من قلب أبى وأمى ووضع فى قلب جدى .
إستقبلتنى خالتى بسيل من الكلمات الغاضبة
قائلة

- مافيش يوم يعدى يا ماما من غير عزائم
المدرسة كلها يا نهار اسود .. إمتى اتجوز
وارتاح زى باقى أخواتى .

قالت جدتى :

- كلها كام شهر وتتجوزى وتسيبىنى أنتِ
كمان زى أخواتك .

قالت خالتى :

- كله من تحت راس المفعوة دى ، وفيها
إيه يعنى لما تنضرب ما إحنا كلنا كنا
بننضرب وبابا كان بيوصى المدرسين
يضربونا علشان نتشطر .

قلت :

- بس أنا شاطرة ومؤدبة ومبعلمش أى غلط
أو مشاكل .

قالت خالتي :

- انتِ مغرورة وقنزوحة . ثم أكملت قائلة

إحنا كنا لو حد تعب بعد كام يوم لما تفتكروا
تودونا لدكتور او نخف لوحدنا ، لو التعب
طول بيعت بابا يجيب لنا الدكتور ، لكن
انت لو تقولى أه يجرى يشيلك ويجرى بيكى
وانتى زى الشحطة كدا للدكتورة ، ولا
اللبس يشتري لك لبسك من عند أحسن
المحلات .. يسافر مخصوص علشان

يشترى فساتينك و إحنا طول عمرنا بنخيظ
عند أم وداد .

نهرتها جدتى قائلة :

- كفاية انتى بتحسديها حرام عليكِ دى زى
اليتيمة أبوها وأمها عايشين ولا داريين بيها

كانت جدتى على حق ، كانت تمر الأيام
والشهور ، دون أن أرى أمى وكنت أشتاق
إليها فأذهب لبيتها يقابلنى زوجها غاضباً
ويعاملنى بجفاء شديد . كانت تلقانى أمى
دامعة العينيين ممزقة بين حبا لى ورغبتها
فى الإستقرار وتربية باقى أولادها ، كانت
نفسها مطمئنة لأنها ترانى أحيا فى كنف
جدى هادئة مطمئنة ، فتقر عينها قليلاً..

قرأت هذه المعانى فى عينها ، وقرأت
الكراهية الشديدة فى عين نعمان ، نعم كنت
طفلة صغيرة ، لكنى فهمت جيداً لغة العيون
فقررت ألا أعرض أمى لهذا الموقف ثانية ،
سأكتفى برؤيتها حين تأتى هى لبيت جدى .

أما أبي فكنت لا أراه لأوقات بعيدة أزوره
فى بيته فتقف زوجته بالباب لتمنعنى من
الدخول قائلة :

- روى يا حلوة بابا نايم . فأعود من حيث
أتيت

تركت جدتى وخالتى باكية العينين ، عندما
جاء الشيخ سليمان الذى عهد إليه جدى بأن
يقوم بتحفيظى القرآن

دخل جدى الحجرة وسأل الشيخ

- إيه أخبار ياسمين يا شيخ سليمان .

رد الشيخ قائلاً :

- بسم الله ما شاء الله تبقى لها خمسة أجزاء
، لو سارت على هذا المعدل ستحفظهم
خلال خمسة أشهر بإذن الله ، إن شاء الله
تختم القرآن قبل أن تحصل على الإبتدائية .

قال جدى :

- شد حيلك معاها وانت جايزتك كبيرة .

لم يتم ما توقعه الشيخ ، فلم أكمل حفظ
القرآن لا فى خمسة أشهر ولا فى الخمسة
أعوام القادمة .

فى الليل كان البيت مستعداً لقدم هيئة
المدرسة ، جلسوا أولاً للمأدبة العامرة ثم
إستأذن الناظر جدى لأقوم بالغناء فى حفلة
المدرسة التى سيحضرها الوزير والمحافظ
بمناسبة إفتتاح مجمع مدارس

قال الناظر :

- ياسمين زى ما عودتنا كل سنة هتغنى .

قال جدى :

- ياسمين كبرت . ثم نظر لوجهى فعلم أننى
أكون فرحة بالغناء خصوصاً فى الحفلات
الكبيرة ولم يرد أن يحرمنى من متعتى ومن
كلمات الإعجاب والتشجيع

اكمل جدى ولكن .. هذه آخر مره ستغنى
فيها يا ياسمين

أعدك بذلك يا جدى .. قبلت جدى وإلتفت
فوجدت المعلم الذى ضربنى ينظر ناحيتى
يشعر بالخجل ينظر للأرض يريد أن
يتحدث . نظر له الناظر قائلاً :

- استاذ عاطف اعتذر لياسمين .

قلت له :

- عفوا يا حضرة الناظر ، هو استاذى ولا
انتظر منه إعتذار .

قال الجميع ونعم الأدب ونعم التربية
الكريمة

هكذا مر اليوم بسلام وتلاه أيام وأيام تذكرت
كل هذا وأنا ارقد بين أمى وجدتى فى حجرة
جدى وعلى فراشه وتذكرت آخر مرة رأيت
فيها جدى

(٣)

آخر مرة رأيت فيها جدى كان يوم حفل
المدرسة كنت عائدة من الحفلة سعيدة أكاد
أطير من الفرحة ، وكعادتى مررت على
جدى فى مضيفته فلم أجده .

كنت غاضبة منه لأنه لم يحضر الحفل كما
وعدنى رسمت على وجهى تكشيرة حتى
يعلم أنى غاضبة .

سمعت أصوات بكاء مكتومة .. وجدت
خالتي ، وأمى فى الصالة يبكون فى صمت
كانت جدتى حائرة يرتسم القلق على وجهها
وعيونها محمرة . دخلت حجرة جدى
وجدته نائماً فى فراشه والحجرة مملوءة
بالناس دخلت جدتى . فقام خالى ليفسح لها
مكاناً بجوار جدى فجلست ووضعت رأسه
على كتفها . عندما رأتى فتح ذراعيه وابتسم
لى دخلت فى احضانه وقلت بصوت هامس

- مالك يا حبيبي ؟

قالت جدتى :

- جدك تعبان يا ياسمين ورفض يروح
المستشفى إلا لما تيجى ويسلم عليكى .

لا أعلم إن كانت تلك دموعاً التى نزلت من
عيني أم نيراناً ، مسحها جدى بيده ، كان
الأم ظاهراً على وجهه ، لكنه ابتسم وقال :

- متخافيش أنا بخير وهرجع لك ماشي على
رجلى إطمنى وإحكى لى عملتى إيه فى
الحفلة. غمغم خالى قائلاً :

- كل دقيقة تأخير غلط على صحتك .

أشار له جدى قائلاً :

- إتلهى دوايا فى حضنى أهوه .. قولى ما
ترديش على حد عملتى إيه ؟

- غنيت يا جدو والمحافظ طلب منى أغنى
أغانى كتير لأم كلثوم وكان فرحان لما
لاقانى حافظاها وكمان هو عارفك يا جدو

وسألنى عليك وقال أنى هكون مطربة
كبيرة زى أم كلثوم فى يوم من الأيام .
هنا إنتفض جدى وحاول الجلوس فاستند
على جدتى ووضع يده فى يدي قائلاً :
- اوعدينى يا ياسمين ..

قلت :

- على إيه ؟

قال :

- أول حاجه تتمى حفظ القرآن الكريم
وتكلمى تعليمك لحد ما تاخدى الدكتوراه فى
التخصص إالى يعجبك وتحافطى على
صلاتك .

ونظر إلى ملابسي فوجدنى أرتدى ثوباً
قصيراً وبدون أكمام وشعرى مسدول على
أكتافى فوضع يده على كتفى ونظر فى
عينى قائلاً :

- جسمك ميتكتفش ولا شعرك فاهمه ؟

كان ينتفض من الألم ويضغط بقسوة على
ذراعى .. شعرت أن أصابعه ستمزق يدي
، لكننى هزرت رأسي بالإيجاب أكمل قائلاً
- متغنيش برا البيت أبداً .

فاهمه .. عارف إنك بتحبي تغنى إوعى يا
ياسمين يقولوك شهرة ومجد وفلوس أوعى
.. دى وصيتى تبقي بتموتينى ألف مره بعد
موتى لو عملت غير اللي قلت لك عليه .

نظر جدى إلى جدتى وأخوالى قائلاً :

- وصيتكم ياسمين .

هنا تنحح أبي وتدخل فى الكلام لأول مره
ولم أكن قد انتبهت لوجوده قائلاً :

- ياسمين بنتى يا عمى .. ولا ناسي ؟

نظر له جدى نظرة غاضبة وقال :

- إنت إلی ناسی .

كان جدی لأبی یجلس فی الناحیة الأخری
من الحجره فتنحنح قائلاً :

- یاسمین فی عینینا .

عندما حُمل جدی دخلت أمی وخالاتی
للحجره باکیات .. ولم یعد إلا علی القبر ،
ولم أره ثانیهً بکیت کثیراً .. لم یکن ما
شعرت به یوم موته حزناً بل یُتماً ولطماً
والمأ.

لم یکن موته کل ألی لکنه کان بداية الألام
ووداعاً للسعادة .

كان قلبی یتمزق بألم ولوعة . كنت أنظر
للنسوة المتشحات بالسواد فینقبض قلبی .
الجمیع یبکون علی جدی . جاء اصدقاءه
ومحبینہ من کل مکان

أقیم العزاء لمدة سبعة أيام . كان أهل القرية
جمیعاً فی غاية الحزن تبکیه حتی النساء

والأطفال ويذكره الجميع بسماحته وكرمه
وهيئته وحبه للخير .

حقاً تموت القلوب حين يرحل من كانت
تنبض لأجلهم فتحجل النبضات وتتوقف عن
الخفقان .

(٤)

تركت الجميع ودخلت حجرة جدى وجدتى
هذه الحجرة التى كنت اقضى فيها أوقاتي
السعيدة .

الآن أهرب إليها من الحزن والألم ، نسينى
الجميع وأغلقت الحجرة طيلة اليوم بالمفتاح
من الخارج وأنا بداخلها ، لكنى لم أشعر
بالخوف أو الوحشة .

أذكر الآن أيامى فيها ..

حجرة جدتى كانت جنتى ، كنت ألجأ إليها
دائماً وأرتمى فى أحضانها ، أذكر أول
صلاة لى كانت خلف جدتى ، رأيتها تصلى
لا أذكر كم كان عمري وقتها ربما كنت فى
الرابعة أو أكبر قليلاً ، كنت أذهب لكُتَّاب
القرية منذ الرابعة من عمري

رأيتها تصلى ، جلست أصلى بجانبها بدون
وضوء ولكننى حرصت أن أعطى شعرى ،
وبرغم قصر ثوبي ..

ركعت جدتى فركعت ، سجدت فسجدت ،
كنت لا أقرأ شيئاً إلا الفاتحة فلم أكن أحفظ
غيرها . وبعد أن سلمت سلمت .

رأيت جدى يقف بباب الحجرة ويبتسم ثم
جاء وحملنى وقال لى :

- حبيبتى الصلاة ؟

إبتسمت واختضنته .. قالت جدتى :

- بس هى كانت بتلخبط فى قراءة الفاتحة
وكانت بترفع صوتها .

قال جدى :

- مش مشكلة علميها تصلى إزاي .

كانت هذه الحجرة هى جنتى فعلاً ، أهرب
إليها وإلى أحضان العجوزين حينما تعنفنى

خالتي أو يضايقتني أى شخص فى هذا العالم
، فأجد أحضانهم مفتوحة دائماً لإستقبالي
ومسح دموعى وغسل همومى الصغيرة
بالكلمات الحانية .

عندما كنت أرى جدتى أرى نوراً يشع من
وجهها . ما أجملها وما أحن قلبها .. ملأت
هذه السيدة قلبي بالحنان .

كان كُتاب القرية فى المسجد فى مصلى
السيدات بالدور العلوى ، وأمام المسجد
ساحة كبيرة كان الأولاد يلعبون بها ، أما أنا
فكنت أجلس على السلالم أكتفى بالمشاهدة ،

وقت الدرس بين أذان الظهر والعصر
نجلس نردد خلف الشيخ الآيات وعندما
نسمع الأذان ينزل الأولاد بصحبة الشيخ
لأداء الصلاة فى الدور الأول ، وتصعد
السيدات للصلاة .. كنت أترك المسجد
لأذهب إلى جدتى لأصلى خلفها . عندما
كبرت قليلاً ورأى جدى حبي لحفظ القرآن

إتفق مع الشيخ أن يأتى للبيت ليقوم
بتحفيظى القرآن .

أجمل الليالى هى التى كنت أقضيها بين
أحضان العجوزين كنت أنادى جدتى زوزو
كما يناديها جدى وأناديه عبده كما تناديه
جدتى ، رأيت معهما أجمل قصص الحب
بين عاشقين .. مر على زواجهما أربعون
سنة ولا يزال الحب يملأ حياتهما . إذا تأخر
انتظرته فى الفارندا وعندما تراه تشرق
ملامح وجهها .

كان يرسل لها رسائل من المضيفة رسائل
مملوءة بالحب والشوق .. اذكر بعض هذه
الرسائل ..

" يا مليكتى حضرى لنا الغداء "

" يا زهرة الياسمين عندى مجلس وهتأخر
عليكى "

" يا نواره فوادى خليهم يحضروا عشا
للناس اللى معايا "

وأحيانا كان يكتب لها " يا حبيبتي وحشتيني
فى الساعتين دول ، انتظريني سأحاول انهى
المجلس لأعود لكى سريعا ، مع حبي
وغرامى " كانت جدتى تحتفظ بهذه
الرسائل فى حقيبة جلدية ..

لم أكن أعلم أن قراءة هذه الرسائل عيب
حتى رأنتى خالتى سوسن ذات مرة
وعنفتنى ، وعندما علمت جدتى إبتسمت
حياءً كفتاة صغيرة أما جدى فقد ابتسم وبدأ
يرسل لى رسائل أنا أيضاً .

رأيتها يوم وفاته تقبل قدميه ويديه وهو
يطوحهما من الألم عندما يذهب فى أغماءة
ثم يفيق فيناديها فتزد عليه فيدعو لها.. رأيتها
حزينة وأن الحزن يسكنها ولا ينوى الرحيل
رأيتها شاحبة وكان الدماء قد فارقتها إلى
غير عودة . يريدونها أن تخرج من حجرته

فيناديها قلبها إلى أين تذهبين وتتركى رجلك
وقلبك ثم تجلس وقد تيقنت أنه قد فارق
الحياة فتطيل الجلوس فتحاول الحركة فلا
تستطيع .. تحاول الصراخ فلا يطاوعها
صوتها .تحاول أن تخرج مكنون قلبها لمن
حولها فلا تستطيع .وكانما قد منعها مانع
الموت الذى منع زوجها من الحركة .ثم
فجأة تعاودها الحياة فتنتطق وكانما تحررت
من عقالها فتطرق الباب عليهم لماذا
يوصدون باب حجرتها دونها هذا ابنها
الطبيب يخرج من الحجرة ويخرج من
بروده المعهود تجده يضطرب ويعانقها
باكيا ثم يقبل ابنها الحنون فيلثم يدها وقدمها
تساءلت هل لو تزوج العشاق أصحاب
القصص الشهيرة أمثال روميو وجولييت
وقيس وليلى أكان الحب يدوم بينهما هكذا ،
لم ترى جدتى جدى قبل زواجهما ولم يعيشا
قصة حب عنيفة ولم يلتقيا فى مدرجات

الجامعة ولا الندوات والكازينوهات ،
جمعهم بيتاً فملاًه بالحب والمودة والرحمة .
بعد وفاته كانت تقف أمام صورته تناجيها
بعينها ..

وتمر الأيام وتمر الأعوام ويتقدم السن
بجدتي

عاشت بعده ثلاثين عاماً.. تنظف طربوشه
وعمامته وشاله ، وتغسل ملابسه وتعلقها
على الشماعة كل يوم تقرأ ورده من القرآن
ووردها كما أعتادا

واجدها وا حبيباه .. ابكيكما الآن بدموع
القلب بعد أن جفت دموع العين .

(٥)

مرت الأيام ثقيلة الخطى لا أشعر بشئ غير
الألم والشوق لجدى . اذهب إلى الحظيرة
لأعتنى بحصانه الذى أصابه المرض منذ
يوم وفاة جدى ، أحاول إطعامه لكنه ظل
يرفض تناول الطعام حتى مات حزناً على
صاحبه .

كان إحتضان جدتى لى يهون على كثيراً
ونجحت محاولتها فعلاً فى تعويض حنان
جدى ، فقد هدأت نفسي وإطمأن قلبي ،
ولكن زوجة خالى وخالتى كانتا غلاظاً معى

لم أكن أعيرهن إهتماماً ، تغيرت حالتى ..
تعددت أيام جدى أن أطلب فيلبي طلبى
فوراً لكن الأمور تغيرت الآن . كان نعمان
يعاملنى بحنان شديد يدخل البيت فيسأل عنى
يحضر لى الحلوى ويلاطفنى ..قال لأمى :



- ما رأيك أن تأتي ياسمين لتعيش معك ومع
أختها ؟

كادت أمى أن تطير من الفرحة إستبشرت
خيراً قام نعمان بتجهيز حجرة لى فى بيته
.. قام بطلاءها بلون وردى وأحضر لها
ستارة جميلة .. كنت أقضي معهم طيلة
اليوم وأعود لأنام مع جدتى ، حتى لا
أتركها وحيدة فقد تزوجت خالتى سوسن .
لكن عندما إنتقل خالى فتحى إلى البيت
للإقامة مع جدتى بشكل نهائى ، إنتقلت أنا
أيضا للإقامة فى بيت أمى .

بدأ نعمان يلمح بضرورة أن تطلب أمى
ميراثها حتى يشتري به نعمان أرضاً فهو
يربى لها إبنتها ، وفعلا ذهبت أمى لأشقاءها
وطالبت بميراثها ولم تمهلهم فإقترضوا
حتى يشتروا نصيبها ..

فقد كان من عادة أهل الريف ألا يعطوا
البنات ميراثهم ومن يعطيهم لا يعطيهم

أرضاً زراعية للبنات ، ويقوم الأشقاء
الذكور بشراء نصيب الإناث ، أخذ نعمان
المال وقام بشراء أرض زراعية سجلها
باسمه لم تستطع أمى الاعتراض ، فهو
يذكرها دائماً بأنه يربي لها ابنتها

خضعت أمى إذاً وإستكانت لكن نعمان بدأ
يفتعل المشكلات معى ..

عندما تضع امى الطعام نجلس جميعاً
فينظر ناحيتى بغل ثم يجلس مبتعداً عنى
مشيحاً بوجهه كما لو أنه يشم رائحة كريهة

وجدنى مرة أجلس أمام باب البيت لأشاهد
مجموعة من البنات يلعبن معاً ، نادانى
فذهبت إليه مسرعة ضربنى على وجهى
بالقلم ، صرخت فى وجهه

- بتضربنى ليه هو أنا عملت حاجه ؟

جاءت أمى مسرعة :

- بتضربها ليه إيه اللى حصل ؟

- بتلعب فى التراب ووسخت هدمها .
- والله مكنتش بلعب ووهدومى نضيفه أهوه
كنت بتفرج على اللعب بس .

قالت أمى :

- ياسمين دايماً نظيفة وعمرها لا لعبت ولا
بهذلت نفسها ، كمان مسمحكش تضربها
تانى .

جلس على طرف المقعد ينظر لها بغضب
كان يضم كفه على ساقه اليسرى بقبضة
محكمة كانت العروق نافرة تحت جلده
الغامق لم يرخ قبضته .. كانت يده مفتولة
العضلات قوية جعلتنى اشعر بألم صفعته
على وجهى فأتحسسسه وأنا أمسح دموعى ،
رفع قبضته ولوح بها قائلاً :

- ربي بنتك يا سامية بلاش الدلع اللى
هيبوظها ، وبلاش تخلى بنت الكلب دى
تكون سبب فى طلاقك وخراب بيتك .

وجد تهديده طريقه إلى قلب أمى كانت
تخاف ان تطلق مرة أخرى ثم إنها الآن قد
باعت ميراثها ولم تعد تملك شيئاً وأصبح
لديها ثلاثة أطفال غيرى مسحت دموعى
وقبلتنى وجلست صامته .

أما هو فظل يحدق بى والإشمئزاز يملأ
عينيه السوداوين . دخلت حجرتى وجلست
متجمدة أفكر فى وضاعته وظلمه يفعل كل
ذلك ليتخلص منى .

منذ أيام قليلة كان يدللنى ويشترى لى
الحلوى ، حتى تحصل أمى على ميراثها
والآن ينقلب هكذا تصل الأمور للضرب .
عندما دخل لينام تركت البيت وذهبت لبيت
جدتى وحكىتها لها ما حدث فجاءت مع خالى
. قائلة :

- هى حصلت الضرب .. تتقطع إيده .

استيقظ من النوم على صوت جدتى خرج
بشعره المشعث . وقف أمامها ثم نظر

ناحيتى . وقال وقد تقوس ظهره ليمسك بى
من ملابسي

- هى حصلت رايحة تشكى للهانم جدتك .

أمسك يدى شعرت بنوبة من الخوف الشديد
جعلت شعرى يقف .

- من النهارده مالكيش مكان فى بيتى تلمى
هدومك وتخرجى منه .

صمتت أمى تماماً . أفرغت جدتى وخالى
كل غضبهما فى وجهه البشع . ثم خرجنا
من البيت . فشلنا فى كبت دموعى طيلة
الطريق .

وفعلاً صمتت أمى وعاشت وعدت إلى بيت
جدتى ، لكنه لم يعد بيت جدتى ،
فقد أصبحت له سيدة أخرى الرأى رأياها ،

وإنزوت جدتى فى حجرتها منعاً للمشاكل ،
بدأت زوجة خالى تضايقنى أنا وجدتى بكل
الطرق ، تتعمد إهانتى تضربنى وتهيننى



وجدتى لا تستطيع الرد ، أشكوها لخالى
فيكلمها بهدوء لكنها ترفع صوتها وتلفق لى
الأتهامات ، ثم حملت أولادها وتركت له
البيت واشترطت أنها لن تعود حتى أخرج
من البيت ،

لكن تدخل الجميع وأعادوها للبيت ، فأصبح
البيت جحيماً لذلك كنت أخرج من البيت
صباحاً ولا أعود إلا على موعد النوم ،
حتى جدتى التى لم تكن تطيق إبتعادى عنها
لحظة تركتني اذهب لبيوت أقاربي ، تجنباً
للمشاكل ،

قمت بتدريب نفسى على الجلوس طيلة اليوم
بلا كلام ولا طعام ، أجلس فى مكان واحد
لا أتحرك منه ، لكن عقلى يعمل .

وحتى لا يملنى من اكون ببيته من أقاربي
كنت أنزوى فى أحد الأركان لا أبارحه ،
كانوا لا يشعرون بوجودى . ألاعب الأطفال
الصغيرة . او أقوم بمساعدتهم فى أداء بعض

الأعمال المنزلية . كان هذا الوضع يحتاج
إلى التعامل بمرح ودبلوماسية لكننى كنت
فاشلة فى هذه الامور.. دربت نفسى أيضاً
على عدم الذهاب للحمام إلا مرتين.. مرة
صباحاً وأخرى مساءً ، وعندما أشعر
بالإشتياق لجدى أذهب لزيارته فى قبره .
كانت كل المنازل مفتوحة لى ومرحبة بي
إلا منزل أمى وابي

كانت زوجة أبى ترفض مجرد دخولى
للبيت فكنت أنتهز فرصة ذهاب إحدى
عماتى لزيارة أبى فأذهب بصحبتها ..
فكانت زوجة تخجل أن تطردنى أمام عمتى

كنت أثناء اللقاء بابى أظل أنظر له حتى
أحفظ ملامحة ، قال لى أبى :

- إنتِ بتبصى لى كتير قوى ليه كدا يا
ياسمين . فقلت :

- بصراحة بخاف أنسي ملامحك ، يابابا
لأنى مبشوفش حضرتك إلا كل سنة مرة .
تنحني أبي وقال :

- ابقى تعالى يا حبيبتى .

- باجى كتير يا بابا علشان أشوفك وأشوف
أخواتى لكن طنط سنية بتقولى إن أنت مش
موجود .

نظر أبى لزوجته وقال :

- إبقى خللى ياسمين تدخل يا سنية علشان
تتغدى وتلعب مع أخواتها .

قالت له بغضب :

- حاضر .

كان أبى يشعر بالإحراج ..

استمر الوضع على هذا الحال حتى مزق
إبن خالى كتابي ، وعندما أخذته منه بكى

جاءت زينات وظنت أنني ضربته فظلت
تضربني وأنا أخبرها أنني لم أضربه أخذت
كتابي منه فقط لكنها رفعت صوتها
وأخبرت الجميع أنني ضربت ابنها الصغير
، وبدأ الجميع يوجه لى اللوم حتى جدتى .
وإمتنع خالى عن الحديث معى وقالت خالتى
سوسن :

- مش كفاية متحملينك وإنت ليكى اب وأم
روحي لأهلك وريحهم .

لذلك تركت البيت وتوجهت إلى القبر ..
قررت أن ابقى هناك حتى أموت لم يكن لى
أى سبب لإستمرارى فى هذه الحياة .

ولا أريد أن أسبب ألماً أكثر لمن حولى فقد
كنت مصدر تعاسة للجميع .

عندما يولد أى مولود فى العائلة ، كنت أرى
فرحة أهله به . وكنت اتخيل نفسي مكانه ،

هل فرح بى أحد كما فرح والدا هذا الطفل
به !

مؤكد لا ، ومؤكد أن الجميع تمنوا موتى
قبل ولادتى .. ليتنى مت قبل أن اولد . لكن
لا هناك من فرح بولادتى وقام بإحتضانى
وقربنى منه هأنا ذا معك الآن يا حبيبي
أمسح على جدران قبرك .

أسبوع كامل بعد خروجى من القبر ، لم
أتحدث ولا بكلمة واحدة ، ظللت أستعرض
شريط حياتى ، أتذكر كل ما مر بي ، وأفكر
هل أسأت لهم ؟

كل ما كنت أتمناه مكان أعيش فيه .. ليتهم
تركونى حتى أعيش بمفردى .

طلبت من جدتى أن تقول لى حكاية مركوب
أبو القاسم . كانت زوجة خالى عندما عدت
من القبر تقول :

- رجع مركوب أبو القاسم .

قالت جدتى :

- عمى فى قلبها بقى القمر الجميل ده يبقىى
مركوب أبو القاسم

تأثرت أمى عندما سمعت ذلك فقلت لها إن
نعمان أيضاً قال لى إنت مركوب أبو القاسم
وسنية زوجة أبى ..

- نفسى أعرف الحكاية .

صمتوا جميعاً ولم يحكى لى أحد الحكاية ..

بدأت حالتى فى التحسن أو هكذا ظنت أمى
فعدت لبيتها . لكن زوجة خالى تركت
البيت ، فلقد كان الجميع يتهمها بإساءة
معاملتى إلى الدرجة التى فضلت فيها البقاء
بالقبر على العيش معها لكن ما حدث لى
بعد ذلك جعلنى أعتقد أن زينات زوجة
خالى هى ملاك من ملائكة الرحمة .

(٦)

بعد خروجي من القبر كانت أمي وجدتي
تخافان أن يكون قد مسنى الجن بسبب طول
بكائي ومرضي وشحوب وجهي ، فلم تكونا
تعلمان سر ضعفي وهزالي .. فخلال أربعة
أشهر كنت أطوف يومياً على بيوت أقاربي
كنت خلالها يمر على اليوم واليومان لا
أتناول الطعام خجلاً من أن أكل في بيت من
هذه البيوت .. نعم خف وزني حتى صرت
شبحاً .

وأطلت مدة رقادي حتى تظل أمي بجانبني
لكن زوج أمي جاء وأخذها معه بعد أن
أخبرهم الطبيب أنني قد تعافيت .. فقد خلا
البيت لفترة طويلة من زوجة خالي وكانت
جدتي تطهو لى الطعام الذي أحبه فتورد
وجهي مرة أخرى وعادت لى صحتي .

بعد عودة زوجة خالي جاء والدي مصراً
على أن يأخذني معه إلى بيته لأن الناس
بدأت تنظر إليه نظرة إتهام وتعايره بترك
ابنته ليقوم غيره بتربيتها .. وفعلاً إنتقلت
إلى منزل أبي .. وضعت لى جدتي ملابسني
فى حقيبة جلديه حملها أبي وتبعته ، كان
كمن يحمل حملاً ثقيلاً على ظهره .

قابلتني زوجته عابسه متجهمه ثم قالت :

- ودى ان شاء الله هتبيتها فين يا سي على؟

- فى الأوضة مع إخواتها .

- عايز تنيم بنت مع الصبيان ؟

- دى أختهم والولاد أصغر منها بكثير .

- طيب سيبها لى وروح شوف وراك إيه

وأنا هتصرف .

كنت أنظر لوجه أبي مرة ولوجهها مرة ولا
أنطق ، إستسلمت تماماً لقدري ونصيبي
فماذا أفعل ؟

فرشت لى منامة على كنبه قديمه فى صاله
البيت وأحضرت لى غطاء قديم وتركتنى ..
كنت جائعه . ناديتها قائلة :

- ممكن تحكى لى حكاية مركوب أبو القاسم
يا عمتو .

جاءت وجلست بجانبى وقالت :

- كان فى واحد بخيل اسمه أبو القاسم . كان
أبو القاسم عنده مركوب بيلبسه فى رجله
قديم جداً . كل ما يتقطع يروح يركب له
رقعه لحد ما بقى ثقيل وضخم وشكله وحش
جداً من كتر الرقع اللى ركبها له . وكان
المركوب مشهور قوى وشكله معروف لكل
وبدا الناس كلهم يقولوا لأبو القاسم إشتري
مركوب جديد فقرر يشتري مركوب ويرمى
ده لأنه بقى ثقيل وبيعور رجله . إحتار أبو

القاسم يودى مركوبه فين وقف على سطح
البيت ورماه فنزل على راس واحد ماشي
فى الشارع فعوره راح الراجل ده للقاضى
واشتكى من أبو القاسم فحكم القاضي على
أبو القاسم بدفع تعويض وأمره ياخذ
مركوبه معاه خد أبو القاسم مركوبه وسابه
على باب المسجد خرج الناس من المسجد
فواحد داس على المركوب

فوقع واتعور .. إشتكى المصلى للقاضى
فحكم على أبو القاسم بغرامه . أخذ أبو
القاسم المركوب وراح على شط النهر
ورمى المركوب .. جه الصياد يسحب
الشبكة فطلع فيها المركوب واتقطعت
الشبكة . فخده الصياد واشتكى أبو القاسم
للقاضى ،

فحكم عليه القاضي أنه ياخذ المركوب
ويدفع غرامة للصياد.. خد أبو القاسم
المركوب وراح رماه فى القناة اللي

بتصرف المجارى فسد القناة حكموا على
أبو القاسم يسلك المجارى وياخذ المركوب .

عرفتى يا شاطرة حكاية المركوب ؟

- أه عرفتها يا مرات أبويا وعرفت إن أنا
زى المركوب ده .

نظرت لى بغیظ وقالت :

- وأنا وأبوکى ربنا بلانا بيكى .

سالت دموعى فنظرت لى دون أن تشعر
بأى شفقة .

نمت ليلتى الأولى فى بيت أبى جائعة
ووحيدة وحزينة ولأول مرة أنام بعيداً عن
حضن جدتى .

إستيقظت على صوت شجار بين أبى
وزوجته فقد كان أبى رافضاً لنومى فى
الصالة ولكنه لم يفعل شيئاً غير الإعتراض
.

خرج فأغمضت عيني حتى يظن أنني نائمة
كل ما استطاع أن يفعله أن يغطيني وهو
يهمس لا حول ولا قوة إلا بالله مفيش عندها
رحمة .

تمنيت أن يقباني أو يحتضنني لكنه لم يفعل
فى الصباح قام والدى بتحويل مخزن البيت
إلى حجرة لى .. المخزن كان ضيقاً بدون
نافذة ، فقط فتحة تهوية مرتفعه تطل على
الصالة ، رائحته قذرة وبه فئران .

ساعدت عمى أبى فى التنظيف ، ثم أحضر
أبى شخصاً قام بطلاء الجدران وأحضر لى
فراش قديم . واصبحت تلك حجرتى ..

عندما خرج أبى فى المساء دخلت سنية إلى
الحجرة فوجدتني جالسة وبجانبي الحقيبة لا
أعلم أين أضع ثيابى ، فالحجرة لا يوجد بها
غير السرير فأخذت الحقيبة لتضع الملابس
فى دولابها ، لكننى خرجت بعد قليل
فوجدتها توزع فساتينى على بنات قريباتها .

صرخت فى وجههم قائله :

- فساتينى اللى جدى جايبهالى .

قالت :

- وهو أبوكى مش هيعرف يجيب لك
فساتين جديدة ؟

كانت هذه الملابس قد اشتراها لى جدى من
أفضل المحلات . ناولتنى ثوباً من ثيابها
وقالت ادخلى لتستحمى والبسى الجلابية دى

بعد خروجى من الحمام أحضرت مشطاً
لتسرح لى شعرى

- أسرحهولك ازاي .

- ضفريهولى ضفيرتين زى ما جدتى
بتضفرهولى .

قامت سنية بعمل شعرى ضفيرتين طويلتين
تغطيان أسفل ظهرى ثم ربطتها بشريطين
من أعلى ومن أسفل قالت سنية

- عينيك خضرا لون عينين أمك مش كدا ؟

هزرت رأسي بالإيجاب ولم أرد ، أعلم أنها
تكره أمى وتغار منها .

- وشعرك ناعم وأصفر وجميل زى شعر
أمك مش كدا ؟

هزرت رأسي بالإيجاب .

فقصت الضفيرتين صرخت فى وجهها

- شعرى حرام عليكى شعرى ليه كدا ؟

- اخرسي يا بت هو انا فيا حيل اسرح
وافلى طول ما انت عايشة فى البيت ده
شعرك مش هيطول عن شعر اخواتك .

- لكن دول ولاد وانا بنت .

- لازم تسمعى الكلام فاهمة البيت ده

هتعيشي فيه زى الخدمة تخدمى ابوكى
واخواتك ولو عايزة تشكى لابوكى اشكى له
.. هو مش هيقدر يخلصك من ايدى فاهمه ؟

ظللت أبكى وأنتحب فلم تأخذها بي شفقة ولا
رحمة وقفت أمام المرأة واضعة يدي على
شعري أنظر إلى الجلابب القديم الممزق
الذي ارتديه .. اكمامه طويلة وهو طويل
جدا اقتربت منى والمقص فى يدها صرخت
خفت أن تقتلع به عيوني كما فعلت بشعري
لكنها تناولت أكمام الجلابيه وقامت بقصها
وأجلستنى على الكرسي وقامت بقص
الجزء الطويل من الجلابية .

كانت سنية بيضاء البشرة ممثلة الجسم إلى
حد البدانة قصيرة القامة .. حين تصمت
تكون امرأة عادية لكنها حين تتحدث تنقلب
إلى شيطانة .

كانت تضحك بغل وشماته

- عاجبك تعيشي فى البيت بشروطى
هتعيشي تاكلى وتشربي وتتعلمى مش
عاجبك الباب مفتوح يفوت جمل .

فكرت فى كلامها فى هذا البيت سأجد
الطعام والشراب وسأذهب للمدرسة فأبى
سبحر ص على تعليمى وإطعامى فلأبقى هنا
فهذا بيتى

تركها ودخلت حجرتى .. علمت أن الأيام
القادمة ستكون قاسية جداً . إنهمرت دموى
فمسحتها لم يعد هناك محل للدموع فلأصبر
وأتحمل ، عمرى الآن اثنا عشر عاماً لا
ملجأ لى إلا بيت أبى فسأبقى حتى يجعل الله
لى مخرجاً .

فى هذه الحجرة التى تشبه القبر سأعيش
وسأضع لسنية خضوعاً تاماً . عندما عاد
أبى رأى ملابسى الممزقة وشعرى المحلوق
صرخ فى وجهها وقال :

- الرحمة .. الرحمة إرحمها .. إنتِ ليه
بتعلمى كدا ؟

قالت :

- علشان هتشوف شعرها وتفنكر شعر أمها
وعينيها .

قال :

- أدى إنتى قصيتى شعرها هتعملى إيه فى
عينيها .

قالت :

- لو أطول أقلعهم والله لأقلعهم .

- يا وليه يا مجنونة قلت لك ميت مرة لو
كنت بحبها مكنتش طلقته .

- أو مال طلقته ليه عمرك ما حكيت لى ولا
جبت سيرتها إلا

- إلا لإيه لازم أسبها علشان ترتاحى
متنسيش إنها بنت عمى وأم بنتى وكانت
مراتى ومشفتش منها إلا كل خير .

ثم بدأ بيتسم متملقاً :

- مش كفاية إني طلقنتها وإتجوزتك .

علمتني سنية القيام بكل أعمال البيت من
كنس ومسح وترتيب وغسل المواعين
والملابس وطهى الطعام ..

منذ لحظة إستياقظى قبل ذهاب أبي للعمل
أبدأ بتجهيز الإفطار له ثم أبدأ العمل حتى
يعود أبي من سهرته ليلاً . وتفرغت هي
للتلفاز والجيران والغيبة والنميمة .

حتى عندما بدأت الدراسة تعلمت تنظيم
وقتي بين شغل البيت ووقت المدرسة ووقت
المذاكرة

فى المدرسة الإعدادية كنت شخصية
مختلفة تماماً الطالبة المثالية والأولى على
المدرسة والمحبوبة من الجميع .. عضوة
مشاركة فى كل الأنشطة المدرسية . فإذا
عدت للبيت لبست ثيابي القديمة ودخلت
المطبخ لإعداد الطعام أخرج للصالة ومعى
منضدة صغيرة وأطلب منها فى رجاء أن

تقوم بتقشير البطاطس والثوم أو مساعدتى
فى لف المحشى حتى لا يتأخر الغداء فنقول
متضجرة

- أف عليكى يا ياسمين معملتيش حسابك
من بالليل ليه .

فأقول لها ضارعة :

- معلىش إنت بتلقى المحشى أحسن منى .
وبعدين مهو انت اللى علمتبنى كل حاجه
وبفضلك هبقى أشطر ست بيت فى البلد .
- على الله بس يطمر فيكى .

ثم أعود للمطبخ واكمل ما بدأتاه من غسل
المواعين أو تجهيز باقى الطعام . فى
المساء أجلس مع أشرف وأيمن وإيهاب
أشقائى على التراييزة الكبيرة نذاكر سوياً
وحتى أرضيهم وأرضيها .. كنت أكتب لهم
واجباتهم المدرسية لأننى إذا إعترضت
مراعاة لمستقبلهم الدراسى كانوا يشتموننى

وتأتى هى لتوبيخى . فكنت اكتب واجباتهم دائماً .

قالت لى مس دوللى أو أبله دولت مدرسة اللغة الانجليزية :

- إنتِ يا ياسمين عندك دمة دائماً بتلمع فى عينك بتخللى اللى يشوفك يحبك ، ببسوها كاريزما الدموع بتفتح لك كل القلوب .

- كل القلوب يا مس إلا قلب بابا ومراته .

فى المدرسة كنت أغنى كل أغنيات أم كلثوم وفيروز ونجاة أغنى فقط مع زميلاتي أنسى نفسي وأتذكر أيام جدى .

تسمح لى سنية بزيارة بيت جدى من وقت إلى آخر وكانت أمى تأتى لرؤيتى هناك وتحضر لى معها بعض الطعام الذى أحبه .

بدأت أرضي بحياتى برغم قسوتها .. عمل شاق فى البيت ، وطاعة عمياء جعلنا سنية ترضي عنى قليلاً وتثق بى كثيراً فأنا لا

أحكى لأبي أي شيء ، فأبي لن يفعل أي شيء ، وهكذا استطعت تحاشي لسانها القاسي السليط .

في المدرسة هزار ومرح وشعر وغناء مع صديقاتي ونشاط لا يهدأ وعزيمة لا تفتقر ، حتى جاءت حادثة سليمان خاطر ، رأيت طلاب المدرسة الثانوية ثائرون ، فاقتربت لأسمع أحد الطلاب يحكى ما حدث .

قتل الأمن سليمان خاطر إرضاءً لإسرائيل .
سليمان خاطر ابن الشرقية المجند ، الذى قتل الاسرائيليين . ثم قام بتسليم نفسه ،

قتلهم لأنهم كانوا سكارى عبروا الحدود ليلاً ، رجالاً ونساء ووضع فى الحجز منتظراً أن يحاكم .

فشنقوه فى زنزانته . وإدعوا انه إنتحر ..
قتلوه إرضاءً لإسرائيل حليفهم . ولماذا ينتحر وقد تحول إلى بطل قومى !

فوجئت بكل الكبت المحتبس بداخلي يخرج
فى صورة هتاف . تبعث الشباب الثائر
وسرنا فى الطرقات هاتفين .. يسقط خونته
.. يسقط العملاء .. يا مبارك خلى بالك
المنصة فى انتظارك .. يسقط عملاء
صهيون ..

سمعت آذان العصر جالت برأسي صورة
سنية وهى تنادى وتبحث عنى ، صرخت
ورفعت صوتى أكثر وأكثر .. هتفت خلفهم
أحمد رشدى يا جبان لم كلابك من الميدان ،
ظللنا طيلة اليوم نعبر عن مشاعرنا ، قُتل
سليمان .. نعم قُتل ولن نعيده بهتافنا .. لكنه
كان صوت الغضب المستعر بداخلنا ..
وجدنى أبى أسير فى المظاهرة سار بجانبى
وأمسك يدى وهتف معى قرب منزلنا
أحاطنى بذراعه وأخذنى لنخرج من
المسيرة وتمعطف فى شارعنا .. ثم أدخلنى
البيت وأدخلنى حجرتى .. أمام نظرات سنية
الغاضبة .. ثم أحضر لى الطعام وتناولناه

معاً كان يضمنى إلى صدره ويمسح على
شعرى ويقول :

- بنت أبوكى يا ياسمين .

ثم حكى لى كثيرا من ذكرياته عن حرب
سبعة وستين وحرب ثلاثه وسبعين ، نمت
من الأرهاق خرج من حجرتى وقال لسنية :

- ياسمين تعبانة بلاش حد يكلمها .

لم تجرأ سنية على اقتحام حجرتى ليلتها ..
فى الصباح خرجت للمدرسة دون تحضير
الإفطار لكنى عدت مبكراً قبل عودة سنية
من زيارتها اليومية وحاولت إرضاء سنية
وطبخت للغداء عادت فوجدت الطعام معداً
فلم تقل شيئاً .

هكذا سارت حياتى حتى وفاة سمية زوجة
خليل .

(٧)

كانت سمية زوجة خليل شخصية محبوبة
جداً من الجميع حتى من سنية نفسها (التي
كانت نادراً ما تُعجب أو تحب إنساناً)

فسمية طيبة وجميلة وحزينة وسر حزنها
هو زوجها خليل نفسه ، الذي كان يعايرها
بانجاب البنات وكثيراً ما كان يشتمها
ويضربها لأتفه سبب .

كان خليل يشرب المخدرات ويتاجر فيها ..
فى البداية كانت التجارة ليؤمن تموينه
اليومى من المخدر ، ثم وجدها تجارة
رابحة . فعمل بها ،

وللأسف كان أبى يشرب معه المخدرات
ويتحمل صداقة خليل ويفتح له بيتنا لسببين
، الأول أنه يشرب مجاناً . والسبب الثانى
حتى لا يعلم أحد أن أبى يشرب المخدرات .

فكان خليل وأبي يسهران معاً كل ليلة فى
بيتنا لشرب المخدرات .

كنت أكره خليل .. كانت نظراته لى وقحة ،
يتفحصنى كلما رانى . ثم يغمز لسنية قائلاً :

- آه يا رمان .. أو يقول أه يا ليل يا قمر دى
الفاكهة طابت على السجر

فتضحك بغباء .. كانت تظن أنه يسامرها .

كانت سمية حامل فى الشهر السادس ،
برغم تحذير الأطباء لها من الحمل لأنه
سيقضى على حياتها لضعف قلبها لكنها
صممت أن تكمل حملها حتى تنجب ولداً
لخليل ..

كثيراً ما كانت تأتى إلينا باكية من خليل
الذى يضربها ويهينها ، وكانت سنية توبخها
وتشتتمها قائلة :

- إنتِ هطلة وكويس انه راضى بيكى
روحى بوسى ايدك وش وضهر شوفى

نفسك عاملة ازاي وبصلي للنعمة اللي انت
عايشة فيها وبصلي لإخواتك .

ترد سمية :

- بس لو يديني ريق حلو .

- يا هبله بيأكلك لحمه وفاكهة وبيلبسك
حرير فى حرير عايزة كلام حلو هتاكلى
كلام .

فى إحدى الليالى إستيقظنا على صوت
طرقات عنيفة على باب البيت .. سمعت
صوت خليل يحدث أبى وسنية ..

- يلا يا سنية البت بتولد روحى لها .

ضربت سنية على صدرها قائلة :

- يا لهوى بتولد دى لسه قدامها بدرى .

- أعملها إيه نرفزتنى ضربتها فوقعت على
الارض .

كان لسانه ثقيل يبدو أنه سكران ..

- روى لها عندها نزيه .

رد أبى :

- وإنّ جابلنا هنا ليه الحق هات لها دكتور

- أخوها جاب لها دكتور يلا روى لها .

إرتدت سنبة ملابس الخروج سريعاً وعادت
إليه قائلة :

- يلا تعالى معايا .

- لا لو رحى هناك هصور قتل هقتل
أخوها وأمها .

- أو مال هروح لوحدى فى الليل ده ؟

- جوزك يوصلك .

إرتدى أبى ملابسه وخرج مع زوجته ..

وقفت فوق فراشي ونظرت من المنور
المطل على الصلاة . رأيت خليل يغلق باب
البيت بالقفل ويتوجه لحجرتي .

أسرعت لأبواب الحجر وأغلقتها بالترباس ..
كنت أرتعش من الخوف . ماذا افعل لو
اقتحم حجرتي وهو سكران هكذا ؟ لا أعلم
كيف استطعت تحريك الفراش الثقيل
فوضعتة وراء الباب . كانت خطواته تقترب
شيئاً فشيئاً .. دخل حجرة أختي ليطمأن
أنهم نائمون ثم إقترب من حجرتي وبدأ
يطرق الباب طرقة خفيفاً ويناديني هامساً :

- ياسمين إفتحي الباب شوفى أنا جايب لك
إيه ؟ بت أصحى يا بت يا ياسمين .

طبعاً لم أرد عليه .. كنت أرتعد من الخوف
فبدأ يطرق الباب بعنف .. أعماه غضبه ولم
ينتبه أن صوته أيقظ أشقائي . خرج أشرف
من حجرتة قائلاً :

- خالى مالك ياخالى عايز إيه من ياسمين ؟

بهت ولم يستطع الرد ثم تمالك نفسه وقال :

- عايزها تجيب لى فحم وترص لى حجر

هى بتنام زى القليل كدا ؟

- لا ابدأ دى نومها خفيف بس يمكن تعبانه .

- طيب روح انت اعمل لى حجر الشيشة .

- حاضر يا خالى .

إبتعد اشرف فعاود خليل المحاولة ولكن

دون جدوى الآن اطمأن قلبي .

بعد قليل عاد أبى وزوجته .. كانت سنية

تبكى وتتدب قائلة :

- عيني عليك وعلى بختك يا أخويا ماتت

سمية وإبنها نزل صاحى ومات بعدها على

طول .

وقفت انظر لهم من شباك المنور ..

سمع خليل كلمة إبنها فجلس وإنهار باكياً

- إنت حزنان عليها وانت اللي موتها ؟

قال :

- هي فى داهية لكن الواد هو اللي واجعنى
ده ابنى .

نظر لهم أبي بقرف وتركهم ودخل حجرته

- إعمل حسابك أهلها هيبلغوا البوليس ..
قالوا للدكتور إنك قتلتها .

- أعلى ما فى خيلهم يركبوه ناس معندهمش
دم هجيب عشرين شاهد يشهدوا انى كنت
بايت برا البلد .

هكذا ماتت سمية المسكينة وجلس الشيطان
وشقيقته يدبران أمرهما .

إن حظى كدقيق فوق شوك نثروه
ثم قالوا لحفاة يوم ريح أجمعوه

إدريس جماع

(٨)

إستطاع خليل فعلاً أن ينجو بفعلته وبعد أيام
قليلة نسي الجميع سمية .. إلا بناتها اليتيمات
وأما المكلومة ..

كانت سنية أشد الناس ضيقاً وتبرماً ، ذلك
أنها أصبحت مسئولة عن خليل وبيته وبناته
وتركت لى شؤون البيت .. وهذا ما اعتدته .

بعد أيام بدأت تقترح أن يتزوج خليل فلقد
أرادت أن تتخلص من خدمته ،

عادت ذات يوم إلى البيت تكاد تطير من
الفرح . كانت تنادى على من الشارع .. كنا
وقتها فى شهر يونيو والحر شديد . كانت
تلهث من حرارة الجو

- ياسمين .. يا ياسمين .. ناولينى أشرب
حموت من الحر .

- ليه مستنتيش هناك لحد العصر؟ علشان
الدنيا حر قوى .

- جايبه لك خبر سعيد .. طاقة القدر
واتفتحت لك مقدرتش أصبر يا هناكى يا
سعدك .

- خير النتيجة ظهرت .. أنا نجحت .. طلعت
الأولى .. اتكلمى ..

- نتيجة إيه يا هبله؟ وهو ده خبر!! ما
انتى بتنجحى كل سنة وأولها وأخرها
مالكيش غير الجواز .

قلت بخوف :

- لا جواز إيه أنا لازم أكمل تعليمى .

- بس لما بيجى لك سيد الرجاله يبقى لازم
تطيرى من الفرح

دخل أبى من الباب يحمل بطيخة كبيرة
ناولنى البطيخة وقال:

- مالكم في إيه ؟

- تعالى يا سي على افرح معانا .

- خير نتيجة ياسمين ظهرت .. أنا كنت
فاكرها بكره ولا بعده فرحيني يا سمسة
الأولى زى كل سنة ؟

- نتيجة إيه يا أخويا شوفوا الرجل .

- فيه إيه فهمونى ؟

- أنا يا بابا مش فاهمه حاجه .

- أنا هفهمك ..

خليل أخويا عايز يتجوز ياسمين .

سقطت البطيخة من يدي على الأرض
وتدلى فكى وإرتسمت علامات الألم
والذهول على وجهى ، وعلامات الدهشة
والإستغراب على وجه أبي

بدأت سنية فى الزغردة . وخرجت ترد
على إستفسارات الجيران .. أكيد فرحتها لا
توصف ستتخلص منى ومن خدمة بيت
خليل فى ضربة واحدة ، ثم عادت إلى
داخل البيت لتكمل مقالتها ..

- وشوف كمان عايزها بالجلبية إلى عليها
لا هيكلفنا أبيض ولا أسود .

وإنحت تجمع أجزاء البطيخة المنتشرة فى
الأرض ..

- عازراكى يا ياسمين الفرحة مش سايعاكى

انتظرت اسمع رد فعل أبى .. كان صامتاً
وكزته فى ذراعه فقال :

- لكن يا وليه ده خليل أكبر منى .

- اسمع لما اقولك الراجل ميعبوش إلا جيبة

صمت أبي ثانيةً يُدير الأمر في رأسه ثم
نظر إلى دموعى المنهمة .. إحتضننى
وقال :

- إطمنى يا ياسمين عمرى ما هغصبك على
الجواز ابداً .

وضعت سنيه يدها فى وسطها وقالت :

- نعم نعم .. وأنت هتقدر تقول لخليل لأ
ياسى على؟!!

- طبعا أقول لا وستين لأ كمان هو عافيه
ولا إيه !

- طيب لما نشوف بقى شطارتك يا سبع
البرمبه.

- إتلمى يا وليه أحسن قسماً بالله الطش لك .

تركتهم ودخلت حجرتى ولا أعلم من منهما
سيقرر مصيرى .. بعد قليل نادانى أبى كان
خجلاً لكنه قال لى :

- خليل راجل ميسور والناس كلها بتحبه
ويارينك توافقى يا بنتى .

- أنا لو الموضوع ده تم هموت نفسي ..
الموت عندى أهون منه .

- إسمعى بس يا بنتى أنا لما دورت
الموضوع فى دماغى لقيت سنية عندها حق

صرخت وبكيت ودخلت حجرتى وإستمر
بكائى أياماً طويلة إمتنعت عن الطعام
والشراب ، ولزمت حجرتى حتى عندما
ظهرت النتيجة وعلمت أننى الأولى على
المحافظة لم أشعر بالفرحة .. أرسلت لى
أمى تطلب أن تلقانى فى بيت جدى فلم
أذهب إليها .. أضربت عن الطعام والشراب
ولكن هيهات .. كان الأمر مستحيلاً ،

قرر أبى الموافقة وتمت قراءة الفاتحة ..
أسبوع كامل فى حجرتى أبكى وأدير الأمر
فى رأسي ، لذا قررت اللجوء إلى الحيلة ..
ودبرت خطة شيطانية

(٩)

ألم يقل رب العالمين عنا "إن كيدهن عظيم"
ويصف كيد الشيطان بقوله "إن كيد
الشيطان كان ضعيفا" وقرأت في كتب
الأطفال أن حيلة الثعلب جعلته يغلب الأسد .

كانت الخطة التي إختمرت برأسي لن تتم
إلا بالسياسة والمكر وسأحتاج من يساعدي
.. لكن هناك محاولة أخيرة إذا فشلت
فسأنفذ خطتي .

إستيقظت على صوت خليل وضحكته
الخشنة الجافة التي يتبعها بسعال ثم يبصق .
ياله من شخص بغيض . سمعته يسأل سنية :

- هي ياسمين فين ؟

قالت له بامتعاض :

- فى أوضتها ست الحسن والجمال اترقت
على كتافى لا شغلة ولا مشغلة .

- انتى اتهبلتى ولا إيه دى تقعد وأجيب لها
عشرة يخدموها يلا قومى انجرى نادى لها
كانت دموى قد جفت من كثرة البكاء
وازداد جسمى نحولاً وبشرتى أصبحت
شاحبة .

خرجت إلى الصالة قبل أن تاتى لتنادينى ما
إن رأتى أبى حتى خفض رأسه وظهر
الحزن على ملامحه كنت ضعيفة واهنة لا
أقوى على الكلام

جلست على المقعد المواجه لخليل فسمعت
طرقات على باب البيت . رأيت حازم أخى
من الأم ذهبت لأحدثه أخبرنى أن أمى تريد
أن ترانى فى بيت جدتى .

- بكره قبل صلاة الجمعة .

قال طيب هقولها .

ثم نظر إلى خليل وكور قبضته ثم قبلاني
على خدي وانصرف

عدت إلى الصالة وجدت مجلس الشيشة قد
انعدد وخليل يناول أبي قطعة من الحشيش
الملفوفة بالسيلوفان ويتحدث عن جودتها في
إعجاب فيتناولها أبي بلهفة ويفض غلافها
وكانها جوهرة ثمينة ثم يضع جزء منها
بحرص على الشيشة ويشد نفساً عميقاً يتبعه
بآخر .. إزداد اللهب اشتعالاً ناول أبي
الشيشة لخليل . كان أبي يخرج الدخان من
أنفه وفمه كأنه فرن قد أحترق الخبز بداخله
إستجمعت شجاعتى وطلبت أن أتحدث مع
خليل على إنفراد .. ضحك ضحكة مجلجلة
جعلتني أزداد منه إشمئزاً ونظر إلى سنية
قائلاً :

- مهى حلوة أهى وموافقة أومال بتقولى
رافضة ليه ؟ وسبها سباباً وقحاً .

عاد أبي يخفض رأسه أما سنية فقالت :

- شوف البت يا ما تحت السواهى دواهى
طيب ما كنت تقولى على طلباتك وأحنا
عنيا ليكى .

لم أكن أفهم سر خضوع أبي وخنوعه
وإنكساره أمام خليل ورضوخه لكل طلباته

دخلت حجرة الصالون فتبعنى خليل شعرت
أن نظراته كسين إنغرس فى ظهري دخل
وأمسك الباب ليغلقه فقلت له :

- سيب الباب مفتوح .

قال :

- علشان نبقي على راحتنا .

قلت :

- من فضلك سيب الباب .

- حاضر .. حاضر ده انتى عصبية قوى ..
إعملى حسابك أنا بحبك آه وهموت عليكى
بس دلحك ده لازم يبقي له حدود .

قلت :

- عمى خليل إنت ليه علوز تتجوزنى ؟
عاد إلى الضحك مرة أخرى ظهرت أسنانه
الصفراء القبيحة وقال :

- مش عارف .. وحك رأسه مع ان أحلى
بنات البلد يتمنونى أنا راجل مقتدر وقادر
بعون الله افتح عشر بيوت مش بيت واحد
واستمر فى الحديث عن أملاكه وأمجاده ...

قلت :

- جميل جداً إتجوز واحده من اللى يتمنوك
دول .. أنا عايزة أكمل تعليمى وأنت قد بابا
وأنا مش موافقة على الجواز .

- إنتِ صغيرة ومش عارفة مصلحتك .

- لو غصبونى على الجواز منك هموت
نفسى .. الموت اهون عندى من إنى اتجوز
واحد بتاع حشيش زيك .

رفع يده ولطمنى على وجهى.. صرخت
وسقطت على الأرض وسالت الدماء
الساخنة من أنفى وفمى .

لم استطع الوقوف .. ثار أبى ثورة عنيفة
وطرد خليل من البيت . قام بحملى هو
وسنية .. قال خليل :

- بيت لإيه يا أبو بيت ... البيت اللي انت
راهنهولى ؟ إصحى انا أقدر أطردك فى
الشارع من الصبح إنت واولادك.. كتب
الكتاب يوم الخميس .. غصب عنك وعن
بنتك وإلا هرمىكم بهدومكم فى الشارع .
قالت سنية متوسلة :

- كدا يا خليل وأنا ماليش خاطر ؟
فأشاح بوجهه ..

- طيب هتتجوزها بس أجل الجواز لحد ما
ترد عافيتها إنت شايفها خالصانه وأنا هغذيها
وأخليها لك قمر ١٤ .

ترك خليل البيت وخرج فحملنى أبى
وأرقدنى فى فراشى وجلس بجانبى وقال :
- سامحيني يا بنتى غصب عنى .

قلت :

- ليه يا بابا رهنت له البيت إنت موظف
كبير وعندك أرض ووعدتني ادخل الجامعة
خفض رأسه فى ذلة وانكسار
فأكملت قائلة :

- إنت كنت بتشتغل وتزرع الأرض وتكسب
دلوقتي طول الليل سهران تشرب مخدرات
وبناكل بالدين ليه كده ؟
سالت الدموع من عينه وقال :

- لو اتجوزتي خليل هيرجع لى حجة البيت
والأرض .
قلت :

- الأرض .. حتى الأرض كمان؟!!

دخلت سنية قائلة :

- أبوكى الحشيش لحس دماغه ياما خليل
إتحايل عليه ياخذ كام تر به يوز عهم ويجيب
مزاجه لكنه إستكبر بسلامته و خليل مش
هيفضل يديه ببلاش على طول .

نظرت لها بإشمئزاز فتجاهلت نظرتى
وأكملت :

- لازم توافقى يا ياسمين .. وإلا بيتنا
هيتخرب وهنبقى فى الشارع .

لم يعد أمامى إلا الخطة البديلة ، قررت
تنفيذها على الفور .

قلت :

- موافقة لكن ليا شروط .

اشرق وجه أبى بالأمل واقتربت سنية
وقالت بزهو :

- خليل لو طلبت لبن العصفور هيجيبهولك

- لا أنا مش عاوزة حاجه كل طلباتي نأجل
الفرح لبعد حفلة التكريم اللي هيكرمنى
المحافظ فيها .

شهقت سنية وقالت :

- ودى هتبقى أمتى ؟

- بعد شهر .. و خليل ميجيش هنا طول
الشهر ده لحد يوم الفرح .

- وده ليه يعنى الشهر أنا موافقه عليه
هعمالك مفتقة واز غطك علشان تحلوى
وتبقي قمر لكن خليل محدش يقدر يقوله
ميجيش هنا .

- إنتِ هتقوليله لو عاوزة الجوازة تتم لازم
أنسى إنه ضربنى وأنسى كل اللي عمله
النهارده .

لبست سنية ملابسها وخرجت مسرعة إلى بيت خليل .

قال أبي :

- أنا عارف أنى مكنتش ههون عليكى يا حبيبتى لا أنا ولا أخواتك .

- طيب ليه أنا هنت عليك يا بابا ؟

لم يرد على ولم ينظر إلى وجهى .. خرج وتركنى وبدأت أستعيد خطوات تنفيذ الخطة وأدعو الله أن يوفقنى

(١٠)

إستيقظت مبكراً وإرتديت ملابس الخروج
التي لا أملك غيرها .. كنت أشعر بالبرد
برغم حرارة الجو فى فصل الصيف ..
أشعر بأننى فارغة من الداخل .. أشعر
بالجوع الشديد و الوحدة .

توجهت إلى بيت صديقتى زينب بنت مأذون
القرية .. إستقبلتنى زينب بدهشة كبيرة
لأننى لم أزرها فى بيتها من قبل ، وليست
وحدها فلم أدخل بيت أى صديقة من
صديقاتى من قبل .. فلم يكن لدى وقت
للزيارات والمجاملات فأنا ربة بيت وطالبة
.. كانت زيارتى مبكرة جداً .

رحبت بى زينب وأمها التى إستقبلتنى
بالأحضان كان لمنزلهم رائحة جميلة كانت
رائحة الطعام تجعل معدتى تتقلص .

إبتلعت ريقى أكثر من مرة وطلبت مقابلة
الشيخ محمد .. وجلست معه هو وزينب
وتركتنا زوجة الشيخ التي دخلت المطبخ .
شرحت للشيخ خطتى .. فخطتى تعتمد عليه
هو وزينب فى المقام الاول .

وافق الشيخ على التنفيذ دون مناقشة ،
شعرت بإرتياح غريب مما جعلنى أوافق
على تناول الإفطار معهم .

تناولت الطعام بشهية غريبة .. كانوا
ينظرون إلى وأنا ألتهم الطعام ويتبادلون
الإبتسام بينما أم زينب تنظر لى بإشفاق
وقامت وأحضرت لى طبقاً آخر فإلتهمته
وحين إنتهيت قلت بإبتسامة كبيرة :

- أسفه على طريقة أكلى بس متستغربوش
انا بقالى اربع أيام مدخلش بطنى غير الميه
قالت أم زينب :

- بالهنا والشفاء يا بنتى مطرح ما يسرى
يمرى.

خرجت من عندهم يملؤنى الأمل والبشر
وذهبت إلى بيت جدى .. وجدت أمى
تنتظرنى هناك وما أن رأتنى حتى
إحتضنتنى باكية وقالت :

- هو أبوكى عاوز يعمل فيكى ايه ؟
ذنبك فى رقبتة .

- ذنبي فى رقبة الكل .

جلست وقررت ألا أحكى لهم شيئاً عن
خطتى .

قال خالى :

- وإنّ هتتجوزى خليل تاجر المخدرات .

- وأنا هعمل ايه يا خالى إتعلمت الطاعة .

- ولكن انا مش هسكت .

قالت زوجة خالى :

- وإنت مالك دول بتتوع مخدرات يتحرقوا
كلهم .

نظرت لها نظرة تحمل الكثير من البغض
والكراهية .

عندما عدت لبيت أبى وجدت خليل هناك
،عندما رآنى سألنى

- إنتِ كنتِ فين ؟

- وإنت مالك .. انا قلت لسنية شروطى
وأهمها إنى مشوفش وشك هنا لحد يوم
الفرح هى قالت لك ؟

- آه قالت لى بس أنا مهونش عليكى يا ست
البنات تحرمينى من أنسك شهر كامل .
طيب نقرا الفاتحة ونشترى الشبكة ونروح
ونيجى علشان تحبينى وأحبك ونعرف
بعض كويس .

- إطمئن أنا عارفك كويس .

دخلت حجرتى ولزمتها طول الشهر لا
أتحدث مع أحد .

علمت سنية أن مكانتى لدى خليل ستكون
كبيرة وأنى سأتحكم فى أشياء كثيرة فبدأت
تحاول مدهنتى ومصداقتى فنتقرب منى
لكن هيهات

بدأت سنية وخليل تحضير كل لوازم الفرح
من شراء الشبكة والملابس والمفروشات
الخاصة بالفرح .. إختارت هى كل شئ ،
وإرتحت من رؤية خليل حتى جاء يوم حفلة
التكريم .

فى الحفلة كان والدى يجلس حزينا .. طُلب
منى إختتام الحفل بأغنية .. فغنيت مصر
تتحدث عن نفسها دون مصاحبة موسيقى .

بعد عودتنا للمنزل وصلتني دعوة لحضور
حفل زفاف مس دوللى مدرسة اللغة
الإنجليزية ..

هذا الزفاف الذى تأخر عشر سنوات حتى
عودة خطيبها من بعثة للحصول على
الماجستير والدكتوراه .

ذهبت إلى الحفل أرتدى ثوبا لونه أسود
مطرزا بخيوط السيرما الذهبية .. إشتراك لي
والدى يوم حفل التكريم .

وغطيت شعري بإيشارب لونه ذهبي
ونظرت للمرأة لأطمئن على هندامى ثم
نظرت إلى صورة جدى قائلة :

- كله تمام يا حبيبي حجاب وحشمة ووقار
زى ما وعدتك بس معلى هغنى الليلة
علشان خاطر مس دوللى أنا وعدتها من
زمان .. إنت عارف أنها غالية عندى قوى

كان حفلاً رائعاً تحييه فرقة غنائية مشهورة
. قالت مس دوللى أنهم أصدقاء عادل قريب
خطيبى معظمهم درسوا فى المعهد العالى
للموسيقى العربية ولا يحييون الأفراح لكنهم
جاءوا من أجل عادل

كنت أجلس مع زميلاتى نستمع للفرقة بعد
أن أدت الفرقة فقرتين سمعت قائدها ينادى
الأنسة ياسمين تتفضل على المسرح .

كان ينظر للجميع ولا يعرف من تكون
ياسمين ..

رأيت مس دوللى تشير لى ثم تضع يدها
على صدرها بما معناه . علشان خاطر
غنى . وفعلاً تجرأت وصعدت إلى المسرح
أنا وبعض صديقاتى .

ذهبنا للعروس لنسلم عليها .. ووقفوا معى
على المسرح حتى لا أشعر بالخجل .. كانت
مس دوللى قد شرحت لقائد الفرقة أننى لا
أغنى بمصاحبة الموسيقى .

كنت أعرف الأغنية التي تحبها مس دوللي
أغنية جددت حبك ليه ، لكنى كنت أشعر
بالخجل .. فى البداية خرج صوتى ضعيفاً
فأغمضت عيني . وتذكرت كيف كنت أغني
هذه الأغنية لجدى فإنطلق صوتى قوياً
متمكناً وسمعت صمتاً مخيماً على المكان .

ففتحت عيني أنظر للجميع كانوا مشدوهين
من تمكنى من الغناء بهذه البراعة لم يتمالك
أعضاء الفرقة أنفسهم فبدأوا بمصاحبتى
بالعزف تقاسيم قليلة على العود .

عندما إنتهت الأغنية .. ظل الصمت مخيماً
قليلاً ثم بدأ التصفيق الشديد .

كان أعضاء الفرقة هم من بدأوا التصفيق .
طلبوا منى أن أغنى أغنية ثانية ثم ثالثة
تجاوبت معهم نسيت نفسي ومشاكلى نسيت
أين أنا . كنت سعيدة باسمه منطلقة .

عند نزولى من المسرح تبعنى قائد الفرقة
قائلاً :

- يا أنسة اسمحى لى إنى أعبر عن أعجابي
بصوتك مسمعتش زيه قبل كده أبداً .أحيكى
على احساسك بالكلمات .. لو إنضممتى
لفرقتنا هنبقى أشهر الفرق الغنائية .

قبل أن أرد عليه فوجئت بخليل يندفع كالثور
الهائج ويلكم قائد الفرقة على وجهه ثم
يحاول لكمى ،، ظهر أحد الشباب فجأة
وأمسك بيد خليل فلكمة خليل على وجهه
فسقط أرضا والدماء تسيل من أنفه .

أمسك بعض الرجال بخليل وأزاحوه بعيداً
وأحاطتتنى صديقاتى قال الشاب :

- مين المتوحش ده !؟

ردت أحدى الفتيات :

- خطيبها .

قال قائد الفرقة :

- أعوذ بالله . ثم أخرج بطاقة من جيبه
وأعطها لي قائلاً :

- ده عنواني وتليفوني إذا قررت العمل معنا
هنرحب بيكي وهنرحب بيكي الشهرة
والمجد .

رنت في أذني آخر كلمات جدي لي يوم
وفاته وسمعت صوته الضعيف يقول
"هيقولوا لك شهرة ومجد أوعى يا ياسمين"
لولا صديقاتي لسقطت أرضاً فقد كنت أشعر
بالتعب

اعتذرت له وسرت برفقتهن حتى البيت .

في البيت حكيت لأبي ما حدث .. خرج
خليل من حجرة الصالون وقال بصوت
هادر متوعداً :

- كلها ثلاث أيام وهتبقي ملكي في بيتي
وهربيكي .

(١١)

إستيقظت لأجد إستعدادات البيت كله لحفل
الزفاف .. بوجه بارد كالجليد وقلب يشتعل
به الحريق .. كنت أراقبهم أرسلت رسالة
لزينب للتأكيد على الخطة .

دخلت إمراة غريبة الشكل إلى حجرتى
وجلست بجانبى قالت

- لا تؤاخذينى يا بنتى دخلت بدون استئذان.
عندما كشفت وجهها عرفتها فوراً

هتفت قائلة :

- خالة رجاء أم المرحومة سمية.

- أيوا يا بنتى إستنيت فى الشارع لحد ما
سنية تخرج .. كنت عارفه إنها لازم
هتروح تفطر المخفى خليل .. وجيت

أحذرك خائفة عليكى يا غالية يحصل لك
زى اللى حصل لسمية .

- متخافيش .

- مخافش إزاي ده ملعون وهو اللى قتلها .

- عارفه .

- متصدقيش كلام الحب والحاجات اللى
ببزرغل عينك بيها ، هو عمل كدا وأكثر لحد
ما سمية وافقت عليه وبعد الجواز بكام يوم
قلب على الوش التانى .

- انا عارفه كل اللى بتقوليه ده .

- أمك سابت بيتها وغضبانه عند أمها
وجدتك عيانه .. كلهم خايفين عليكى
وزعلانين علشانك .

- متخافيش اطمنى .

- أطمن إزاي وأنت داخله النار برجليكى .

أردت أن أطمئنها أردت أن احكى لها
خطى . لكن كشف الخطة قد يؤدي إلى
فشها . فأحتضنتها قائلة :

- إطمنى هكون بخير .

- طيب لوحصل ورحتى بيت العقرب
وعيشتى فيه ، أمانه تخلى بالك من بنات
سمية دول أيتام حالهم من حالك .

- حاضر يا خالة .

تركنتى وخرجت مسرعة .. وقد زادنى
حديثها اصرارا على المضى قدما فى
خطى لن ينالنى خليل إلا جثة هامة ..
تخيلت مدى حزن أمى وجدتى الان وخوفهم
كم كنت أتمنى طمأننتهم ولكنى كنت أخاف
ان تفسد خطى . كعادتى كان يغرق من
يجبوننى فى مستنقع من الألم .ويكسب من
يكرهوننى من ذلك مكاسب كبيرة .استغل
نعمان حب أمى لى فاستولى على ميراثها

وظل يهددها دوما بالطلاق وحرمانها من
أولاده كما حرمت منى .

واستغلت سنية ضعف أبي أمامها وأمام
المخدرات فجعلتني خادمتها والآن تبيعنني
هى وأبي لخليل بقلب فرح وعقل يحسب
المكاسب .

دخل بعض النسوة إلى حجرتي لتجهيزي
للعرس بشفتين مزومتين كانت سنية تراقب
تصرفاتي وتتعجب من هدوئي .. كنت لا
أتوقف عن مراقبة الساعة كل دقيقة

قالت سنية فاضل ساعتين على موعد
المأذون وهمست أنا هاتان الساعتان هم
عمر بقائي في بيت أبي وفي حجرة القبر
ولا أعلم إلى أين سأذهب بعدها ولا كيف
سيعاقبنى أبي وكيف سيعاقب خليل أبي
.. لكنني أرتضي أى عقاب طالما ستكون
نجاتي من خليل هى الثمن .. الوقت يمر
ببطء شديد .. ترى متى سينتهى العذاب

إستسلمت لهن وتركت نفسي بين إيديهن
كقطعة قماش حتى لا تشك سنية فى نيتى .

عندما جاءت الكوافيرة لوضع المكياج
وعمل تسريحة الشعر تعجبت لقصر
شعرى وتحيرت كيف تمشطه . نظرت إلى
سنية فقالت لها:

- هى بتحب تقصره كدا .

قالت لها صديقتها :

- يا ويالك من خليل لما يعرف إنك كنت
بتقصيهولها .

أنقذتها وناولتها طرحة بيضاء قائلة :

- أنا هكون محببة .

وفعلاً البستنى إيشارب قصير ووضعت
فوقه طرحة الفرحة .

بعد قليل سمعنا من يقول العوالم وصلوا .

قالت سنية بابتهاج :

- خليل جايب فرقة مغنيين وعوالم من
مصر دافع لهم الشيء الفلانى .

بعد قليل سمعت من يقول المأذون وصل
كانت الكوافيرة قد أنتهت من طلاء أظافرى
وتزيين الطرحة الصغيرة بتاج من الورود
الدانتيل وبعض الخرز واللؤلؤ الصناعى
والبستنى قرطا طويلاً من اللؤلؤ .

وقفت ونظرت للمرأة .. كنت أشعر بالدوار
فجلست على الفراش وخرج من بالحجرة
وبقيت سنية معى تنتظر من يأتى ليحصل
على الوكالة .

فى حجرة الصالون جلس المأذون فى وسط
الحشد الكبير .. الجميع يبدو عليهم الوجوم.
جلس خالى فى طرف الحجرة ..

كان خليل سعيداً ومنتشياً ومعه زبانيته . اما
أبى فكان حزيناً منكسراً .

قال المأذون :

- أين الشهود وأين وكيل العروسة ؟

ثم أخرج المأذون علبة صغيرة ملفوفة
كهدية جميلة من حقيبته ووضعها أمامه
وقال :

- علىَّ قسم لا بد أن أبر به .

قالوا :

- وما هو ؟

قال :

- زينب إبنتي كما تعلمون صديقة ياسمين ..
زينب مريضة وحلفتني لازم أوصل الهدية
دى لياسمين يداً بيد .

قال خليل :

- هاتها وأنا هديها لها .

قال المأذون :

- لا يا سي خليل يداً بيد .. نأديها مآءش
هنا غربب وكءا كءا هنعءا نسمع وكالءها .

ءءل الشك إلى قلب خليل فقآل أبي :

- هناديها .. عقبآل ما نرءها لها يوم فرءها

- فرءها يوم نءاها يا اسءآء على .. زينب
لسه قءامها ءانوى وءامعة ، هي صءيآ
مش مءفوقة زى ياسمين لكن أنا معاها لءء
ما ءكمل ءعليمها .

رء خليل هآزئاً :

- وعلى إيه المصاريف ووءع القلب ما ءام
أءرءها للءواز .

- ءواز عن ءواز يفرق يا سي خليل البنء
ءءميلة المءعلمة المءقفة بنء الناس لازم
ءءءوز واءء يلىق بيها .

كآء خليل أن يءن من كلام المآءون لكنهُ
أءبق فمه حين ءءلء الءءرة .

ناولنى الشيخ محمد الهدية وقال :

- أهلا بست العرايس .

لم استطيع النطق خجلاً وخوفاً إلتقت عيني
بعين خليل المبتسمة فنظرت فى الجهة
الأخرى قال خليل :

- هو ده خجل البنات المتربية ها ها ها ..
بتتكسف منى .

شعرت أن هناك طيوراً سوداء دخلت من
النوافذ المفتوحة وملأت سماء الحجرة ..
إنقبض قلبي وترنحت قليلاً فقام خالى
بالوقوف بجانبى ليحتضننى .

سألنى الشيخ :

- مين وكيلك يا ياسمين؟ . شعرت بإنقباض
فى حنجرتى وبألم فى قلبي فلم أرد

قال خليل :

- أكيد الاستاذ على والدها .

نظرت إلى أبي وجدته حزيناً .. حاولت
النطق فإنعقد لسانى .. تلاحت انفاسى
وعلت دقات قلبى وكأنى كنت فى سباق
للجرى .. أشفت على أبى مما سأقول،،
لكنه لم يشفق على يوماً .. تركت حياتى لهم
طيلة عمرى .. أنا الخادمة الذليلة. وكأنى
حبيسة واحد من تلك الكوابيس التى ينعقد
فيها اللسان . ويتوقف فيها القلب بدأ الهواء
يختفى من الحجرة فشعرت بالإختناق
وشعرت أن رئتأى تكادان تنفجران .. لم تقو
قداى على حملى فاعتمدت على يد خالى
- لازم هى اللى تقول .. قال المأذون أتكلمى
يا بنتى .

قال خليل :

- اتكلمى قولى أبويا .

نطقت بصوت يشبه الفحيح وقلت :

- يا عم الشيخ أنا رافضة الجواز .. هما
بيغصبوني إني اتجوز من خليل .. عملوا
لى شهادة ميلاد مزورة لسه مكملتش
خمستاشر سنة وهو خمسة واربعين .

شجعتنى نظرات الشيخ المتعاطفة
فصرخت قائلة :

- أنا رافضة .. رافضة يا عم الشيخ .

ضمنى خالى إلى صدره حمدت الله ان
خالى بجانبى .. التقت عيناي بعينى خليل
السوداء الغاضبة فوجدتها تطلق حمما نارية
صرخ خليل وهاج

أغلق الشيخ محمد دفتره قائلاً :

- معاذ الله أن تغصبي على الزواج .

قال خليل :كنتين بنفس نيرانه مع هواء
شهيقه وزفيره

- نروح المركز المأذون الى هناك هيجوزنا
غصبٍ عن التخين نكتب عقد عرفى ..
الليلة دخلتى على البت دى غصب عن
عينها وعين اللى يتشدد لها .

قال الشيخ محمد :

- ساعتها هبلغ عنكم وعن تزويركم
واسجنك إنت وعلى لإنها قاصر وإنتم
بترتكبوا جريمة .. إتقوا الله .

إتقى الله يا على فى بنتك ضناك لحمك
ودمك .

جلس ابي وقد اسقط فى يده كل ما قاله :

- كده يا ياسمين تعملى كدا فى ابوكى يا
ياسمين . تفاجأت للتعبير الذى رأيتَه يرتسم
على وجه أبى فبدل الغضب الذى ظننته
كان ينظر لى بخجل وارتباك .

ظل خالى يحتضننى وأنا ارتعش كعصفور
غرق فى مياه المطر .. كانت النسوة فى

الخارج فى حالة صمت يترقبن والأطفال
ينظرون من الباب وما إن خرج الشيخ
محمد حتى زغردن ظناً منهم أن الكتاب قد
كتب لكن بعد قليل خرج خليل يسب ويلعن
ويتوعد فصرخ فى النسوة قائلاً :

- صوتوا .. بتزغردوا على ايه.. يلعن
ياسمين ويلعن أبوها ده نسب واطى .

انا أتجوز أحسن واحده فى البلد .. يا على
من الصبح انت وعيالك هرميكم فى الشارع
ردت سنية :

- وهو ذنبه ايه ؟

- ذنبه إنه معرفش يربي بنته .

دخلت سنية الحجره وأرادت أن تجرنى من
شعرى فمنعها خالى .

- ايه اللى خرج بنت الكلب دى .. كنت
هكتم نفسها جوه و أرد انا وأقول انا موافقة

.. هى لعبت الملعب ده مع المأذون وبنته
علشان يناديها .

وخطفت العلبة من يدي فوجدتها فارغة
قمت أنا بتغليفيها وأرسالها لزينا لتعيد
أرسالها لى .

- شفتوا شغل الأبالسة .

قال أبى :

- أنت يا بنتى .. إنت عملت كده ؟ إنت
عارفه هيبقى إيه مصيرى أنا وأخواتك ؟

قال خالى :

- وانت عارف إن هى كان مصيرها هيبقى
زى مصير سمىة .

قالت سنية :

- يا انا يا البت دى فى البيت .

- وهو فى البيت يا ولىة ؟

خرجت مع خالى من البيت تودعنا نظرات
أبي الراضية رغم كل شئ .كان يشعر أننى
أنقذت نفسي من خليل وأنقذته من قتلى فى
طريقنا إلى بيت جدى .. كان العمال
يزيلون الأنوار من أمام البيت .. ويزيلون
الهم من قلبي ، شعرت أن قوة ما قد
انتزعتنى من الظلام وأنارت أمامى دروب
الأمل .وقد بدأ رحيق الحياة يسرى فى
عروقى الميتة . قابلنا مجموعة كبيرة من
الرجال كانوا يهنتونى بنجاتى من خليل .

سرت مع خالى بثوب الزفاف الأبيض
إنتشر الأمر بسرعة .. وجدت الجميع فى
بيت جدى ينتظروننى .. ضمتنى أمى
لصدرها .قلت لعمتى التى كانت أيضا فرحة
بنجاتى من خليل وقد قاطعت أبى .

لم أخف على أبى .. كان يحتاج هذه
الصدمة حتى يترك المخدرات ويعول
أسرته لقد أخبرنى أنه تركها منذ فترة

قالت وأنت هتعملى ايه ؟

أنا أيضا سأبدأ بالبحث عن عمل حتى أعيش ..
لكن أى عمل هذا الذى يجعلنى أتمكن من

مواصلة تعليمى ؟

كنت سعيدة لأنى عدت أنام فى أحضان
جدتى وبرغم مقابلة زوجة خالى لى . إلا
أن خالى وجدتى غمرانى بعطف وحنان
أسعدنى كثيراً .

(١٢)

كنت سعيدة بإقامتى فى بيت جدى برغم
معاملة زوجة خالى لى ، إلا أننى كنت قد
أستعدت ذكريات طفولتى كلها .

كانت امى وخالاتى يجتمعن كل مساء .. كنا
نجلس ونتسامر ونتذكر أيام جدى ، يطلبن
منى أن اغنى .

كانت جدتى تحكى لنا حكايات طفولتها ..
تتذكر طفولتها بدقة شديدة وتنسى الكثير من
ذكرياتها الحديثة .

أعطانى خالى أجندة وطلب منى تدوين
يومياتى فيها فبدأت اكتب ذكرياتى وقصتى
فى هذه الدنيا التى كانت تمنحنى الكثير من
النعم ثم تضع الموانع بينى وبين ما أملك .

لم أجد أحداثاً سياسية تستحق التدوين فى
فترة الثمانينيات ومنذ تولى مبارك الحكم فى

مصر والحياة هادئة راكدة ركود الماء العفن
، غير الصالح لأى شئى .

جلسنا ذات مساء معاً .. خالاتى وأمى
وجدتى .. غنيت أغنية أعطى النأى وغنى
كانت زوجة خالى تكاد تجن ولكننا لم نعرها
أى أهتمام ، وكان ذلك يجعلها تحاول
مضايقتى بشتى الطرق . لكننى ما عدت
أتأثر . أحضرت خالتى مها لى صينية
بسبوسة بالقشطة صنعتها بيدها وأحضرت
أمى لب وسودانى .

أردن أن أستعيد وزنى .. جلسنا نضحك
ونثرثر . كانت زينات فى الخارج تغلق
الأبواب وتفتحها فى عنف وعصبية . نادتها
خالتى سوسن :

- بتعملى إيه يا زيزى تعالى أقعدى معنا ؟

ردت زينات بعنف وقسوة :

- هو أنا فاضية زيكم أنا مشعولة .

خففت صوتى قائلة :

- هى متضايقة من وجودى هنا ده حظى
مبيهناليش العيش فى مكان .

قالت خالتى مها

- هى متضايقة مننا كلنا برغم إننا سايبين
لها ميراثنا فى البيت والأرض تبرطع فيهم
علشان خاطرِك إنتِ و ماما .

قالت أمى :

- وأنا سجلت لك نصيبى فى البيت بإسمك
علشان تعيشي فيه زى ما انتِ عايزة يعنى
ليكى فيه زيها .. بحاول يا بنتى أعوضك
عن الأرض اللي لهفها نعمان .. وكمان
الذهب اللي كان أبوكى جاييهولى فى الشبكة
مع جدتك .. تبيعيه وتصرفى منه على
تعليمك أو جوازك .

- لا يا أمى أنا هكمل تعليمى إن شاء الله
لكن مظنش إنى هقدر أعيش هنا

قالت جدتى :

- إنتِ شفتى خالك يابنتى بيحبك قد إيه ..
معلش إحنا بنتحملها علشان خاطر فتحي
طيب وعلشان ولاده .

قلت وقد علت وجهى ابتسامة أمل :

- يوم حفلة التكريم سلمت الوزير طلب
للإلتحاق بمدرسة داخلية .. والنهاردة جالى
الرد بالموافقة هتعلم فى مدرسة داخلية
للمتفوقات فى القاهرة وهسافر لما تبدأ
الدراسة إن شاء الله .. قولولها إنى ضيفة
قاعده هنا شهر واحد بس .

قالت أمى :

- خدى غويشة بيعيها حتى لو الدراسة
مجانية أكيد هتحتاجى لبس ومصروف .
إحتضنت أمى وقبلتها .. قالت جدتى :

- معايا مبلغ حوشتهولها هنشترى لها به
اللبس ونبيع جزء من الذهب يتحطها فى
دفتر توفير تصرف منه فى القاهرة .

بعد إنصرافهم نمت سعيدة مرتاحة البال
فوجود من يهتم بأمرك ويفكر بك شئ
يجعلك مرتاحاً ، حتى وإن كان هذا
الشخص ضعيف مثلك ولا يملك من أمر
نفسه شيئاً كجدتى وأمى .

فى الصباح بدأت بمزاولة الأعمال الشاقة ،
أصبح شغل البيت هواية عندى لا اشعر
بالراحة إلا وكل شئ مضبوط ومنظم ، مر
اسبوع وزينات تحاول مشاكستى فلا أمنحها
الفرصة .

سمعتها تحدث جارتها قائلة :

- هم وغم ونكد قاعد على .. قلبي بعيد عنك

قالت الجارة :

- يا شيخة حرام عليكِ دى مبتبطلش شغل .

- آه يا ختى حمار شغل بعيد عنك مبتتهدش
إيه الصحة دى .

- مسكينة .. سنية دربتها على كدا عملت
فيها كتير .

- وأهى ارتاحت سنية وشربتها انا .

كانت زينات تتكى على سور البلكونة فى
الطابق الثانى ونسيت أنه متهالك لأن البيت
قديم .. سمعنا صراخ الجارة فخرجنا جميعاً
مسرعين فوجدنا أن السور قد إنهار
وسقطت زينات من الطابق الثانى .

عندما عادت من المستشفى كانت موضوعة
فى الجبس .. قالت خالتى لها :

- ده ذنبك اللهم لا شماته .

كنت أشفق على زينات .. بدأت أعتنى بها
وبأولادها بالإضافة إلى قيامى بشغل البيت

بعد يومين وجدتها تدعو لى وتشكرنى
وتقول :

- مش عارفه اقولك ايه ، لولا وجودك ما
كنتش اعرف كنت هعمل إيه .

كانت جدتى وخالتى يتعجبين من خدمتى
لزينات التى كرهتنى طيلة عمرها وكانت
سبباً فى دخولى القبر فى طفولتى .. والتى
حرمتنى من البقاء فى بيت جدى .

حتى أنهم كن ينخزن زينات بكلماتهم هذه .
قالت لى خالتى :

- على مهلك على نفسك يا ياسمين ، هى
متستحقش منك ده كله ، متنسيش إالى عملته
فيكى زمان .. وميغركيش إنها بتضحك فى
وشك علشان بتخدميه لسه قلبها مش طايقك

- يا خالتي سيدنا عمر ابن الخطاب له مقولة
جميلة " لو اطلع الناس على ما فى قلوب
البعض لما تصافحوا إلا بالسيوف " فخللى
اللى فى الوشوش مقبول وخللى القلوب
لرب القلوب .

هكى لك حكاية يا خالتي عجبنتى قوى ..

كان لعبد الله بن الزبير مزرعة فى المدينة
المنورة بجوار مزرعة لمعاوية بن ابي
سفيان ، وكان بينهما عداوة ، فكان عمال
مزرعة معاوية يدخلون مزرعة بن الزبير
فيغضب ابن الزبير فتكرر منهم ذلك مرات
كثيرة فأرسل ابن الزبير رسالة لمعاوية قال
فيها : "من عبد الله بن الزبير إلى معاوية
بن هند (أكلة الأكباد) أما بعد /

إن عمالك دخلوا مزرعتى فمرهم بالخروج
منها وإلا فوالذى نفسى بيده ليكونن لى
معك شأن " .

وصلت الرسالة إلى معاوية وكان من أحلم
الناس فقراها ثم أعطاها لولده يزيد فقال
لوالده لترسلن له جيشا أوله عنده وآخره
عندك يأتيك برأسه .

قال معاوية : بل خير من ذلك زكاة وأقرب
رحمًا فكتب رسالة لابن الزبير يقول فيها .

من معاوية ابن أبي سفيان إلى عبد الله بن
الزبير ابن (ذات النطاقين) أما بعد والله لو
كانت الدنيا بيني وبينك لسلمتها لك ، ولو
كانت مزرعتي من دمشق إلى المدينة
لدفعتها لك فإذا وصلك كتابي هذا فخذ
مزرعتي إلى مزرعتك وعمالي إلى عمالك
، فإن جنة الله عرضها السموات والأرض .

فبكى عبد الله بن الزبير حتى بل لحيته
وسافر إلى معاوية في دمشق وقبل رأسه...!

قالت جدتي :

- قصة جميلة يا ياسمين زى القصص اللي
كان بيحكيا لنا جدك .

- أنا قرأتها فى كتاب من كتب جدى .

إستمر الحال لمدة شهر ونصف حتى أننى
أخرت زهابي للمدرسة حتى تتعافى زينات
قليلاً وهكذا إستطعت نقل زينات من خانة
الأعداء إلى خانة الأصدقاء لدرجة أنها بكت
يوم زهابي للمدرسة وأعطتنى شالها
الصوفى لأستعمله فى الجو البارد .

فى القاهرة بدأت حياتى الدراسية وقد
تعلمت درساً هاماً من قوله تعالى "إدفع
بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة
كأنه ولى حميم".

(١٣)

فى طريقى للقاهرة بصحبة خالى فى صباح
خريفى مترع بنور الأمل . كنت أشعر
بالرضا يغمرنى .ولما لا؟ وقد أنجانى الله
من مستنقع خليل ومن بطش سنية . ومن
قسوة زينات .وتيقنت أن قدر الله ومشيتة
سيصيبنى مهما أراد الناس ظلمى .كل ما
فعلوه معى كان غباراً نثرته الأيام فوق
حياتى ..أشعر أن قلبي يريد أن يتفتح
كزهرة برية يرويهها ينبوع خفى ...كم كنت
جاهلة حين كنت أخافهم فلم أكن قد أوتيت
قدرا كافيا من التبصر .حتى أرى نور الله
فى ظلمة حياتى .وبأننى سألتقى بالفرحة
التي لا تزال تختبئ منى بين مكونات
القدر.

أقمت فى مدرسة البنات الثريات .. لم
أحاول مجارتهن أو تقليدهن فى شئى ..

إنطويت على نفسي حتى لا أثير حفيظتهن
أو أكتسب عداوتهن . كن من بنات
المليونيرات يذهبن لقضاء الصيف في
باريس

لكن أغلبهن قد جنن من أسر مفككة مثل
أسرتي يتيمات أو من أسر مطلقة دفعتهن
زوجات الأب أو زوج الأم للإقامة في
مدرسة داخلية .. ومنهن من قتل والدها
والدتها فلم يبق لها أحد .. أو دخل والداها
السجن في قضايا مالية أو جنائية أو خيانه.
المدرسة أيضا ضمت مجموعة من الفتيات
العربيات .. كان فراشي في ركن بعيد ..
أحضرت معي ستارة مطرزة شغلتها لي
أمي وأحطت بها فراشي وكان مكتبي
بجوار الفراش . انام وهن مستيقظات . فإذا
هدأ صخبهن ونمن وكنا في الغالب ننام
مبكرات لأننا نستيقظ مبكراً فكنت بعد أن
ينمن أستيقظ وأبدا المذاكرة .

لم أرد أن يشعروا بوجودى فى الفصل
..كنت أجلس هادئة . واتحرك بخفة شبح
فقد أخذت حظى من قسوة القلوب أنتبذ
مكان فى هذه الوحدة الغامرة .لعلى أجد
نفسى فلا أشارك حتى يبدأ المعلم بسؤالى
فأجيب .

فى الصف الأول الثانوى درسنا عهد
النهضة الأوربية .. أعجبتنى رسومات
مايكل انجلو وليوناردو دافنشي . وفى اللغة
العربية كنا ندرس الشعر والأدب فى
العصر الجاهلى ولا أعلم سر إصرارهم
على إفتتاح تعليمنا الأدب والشعر بأصعب
العصور اللغوية .

لماذا لا يبدأون معنا بالعصر الحديث وهو
الأقرب للغتنا ومفاهيمنا ثم نتعمق بالتدرج
إلى العصور القديمة .. كان شعر المعلقات
صعب جداً نحفظ جميعاً أبيات أمروء القيس
فى وصف فرسه .

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعاً كَجَلْمُودٍ

صخر حطه السيل من علي .

كانت المدرسة تحرص على جعلنا نمارس
الهوايات مثل الرسم والعزف على الآلات
الموسيقية المختلفة ، وكتابة الشعر
والتدريب على إلقاءه والخطابة وممارسة
الرياضات المختلفة مثل التنس وكرة السلة
والكرة الطائرة وكرة القدم والسباحة ... الخ

كل الفتيات كنَّ يعرفن كل هذه الأشياء
وبالتالي اختارت كل واحدة الرياضة التي
تحبها وانضمت لفريقها وإختاروا الآلات
اللاتي يحببنا .

لكني لم المس آلة من قبل إلا الربابة

عندما سألني مسيو بيير عن الآلة التي
حاولت العزف عليها من قبل قلت الربابة
فقال ما معنى الربابة ؟ وعندما حكيت له
حكايتي مع الربابة ظنني أمزح .

- كان الراوى الشعبى يأتى على
فترات زمنية متقاربة ومع ربابته
وابنه ليقيم فى قريننا فترة من الزمن
يحكى حكايات أبو زيد الهلالي
والزناتى خليفة وغيرها من قصص
التراث الشعبى ، وكنت أدخل
واجلس مع جدى وضيوفه وأستمع
لقصصه الجميلة وطلبت منه ذات
مرة أن يعلمنى العزف على الربابة
.. فحاول تعليمى ذلك لكنى وجدت
أن الآلات الوترية صعبة .

حاولت ممارسة الرسم كهواية لكنى لم أتقنه
أبدأً لكنى أتقنت العزف على البيانو برغم
أننى كنت أرى البيانو لأول مرة فى حياتى.
- فى خلال العام والنصف وهى الفترة التى
قضيتها بالمدرسة منحنى مسيو بيير معلم
مادة الموسيقى شهادة بيانست مختومة
وموقعه منه تؤلهنى للعمل كعازفة بيانو
محترفة .

- تعلمت السباحة أيضاً برغم اننى لم أكن قد
رأيت بحراً فى حياتى كلها . لكننى كنت
احب البحر . وعندما ذهبنا فى رحلة مع
المدرسة للإسكندرية طوال ثلاثة أيام لم
أغادر الماء ولا البحر . لم أكن أترقب
الأجازات مثل زميلاتي فلم أكن ارغب فى
قدومها . كنت أشتاق لأهلى لكنى بحكم
التجربة علمت ان ابتعادى عنهم أكثر راحة
لى ولهم .كانت روحى ترفرف فوق أمواج
شوقى لهم .فتهدر بداخلى الذكريات .

إستطعت أن أحظى ببعض الصديقات
وأوطد علاقتى معهن برغم ثرائهن إلا أننا
جميعا كنا بعيدين عن أهلنا

كانت صديقاتى لطيفات معى إلا رانيا
زميلتى تتعامل معى ببرود وتعالى ، تنطق
اسمى بنبرة حادة تجعل الجميع ينتبه
لصوتها المزعج . وتتعامل معى بخبث
يجعلنى أتعجب من كراهيتها لى ، لم اكن
أعرفها إلى حد أن تكرهنى . لكنه قدرى .

لم أعد إلى القرية إلا فى إجازة نهاية العام
.. فى إجازة نصف العام كانت المدرسة تقيم
معسكراً للطالبات فى الفيوم فإشتركت فى
المعسكر حتى لا أعود للبلد .

كنت أحاول دوماً الهروب من بلدتى ومن
ذكرياتى بها .

كنت سعيدة جداً بالمعسكر برغم إنفاقى
لبعض المال فى شراء حذاء وملابس
رياضية ، كان الجو دافئاً نسبياً طوال
الأسبوع ، إلا ان القرعة التى أجراها
المشرف على الرحلة جعلتتى فى نفس
المجموعة مع رانيا وصديقاتها مما جعلنى
أشعر ببعض التعاسة .

كان برودهن فى التعامل معى يعكر
مزاجى .

المسافة بين القاهرة والفيوم ليست كبيرة ،
كان جزء كبير من الطريق مظلاً بأشجار
خضراء رائعة . لم يسبق لى السفر إلى

الفيوم فكنت سعيدة جداً وكنت سعيدة أكثر
بجلوسي بجوار النافذة فى طريق الذهاب
والعودة .

كان شاطئ بحيرة قارون على شكل هلال
سحرنى لون المياه الأزرق الداكن ، كانت
تحف بتلك المياه جروف شديدة الإنحدار
صاعدة نحو قمم غير متساوية ، كانت
حفلات السمر ليلاً رائعة كنا نوقد ناراً
ونتجمع حولها ويغنى الجميع .. لم أشارك
فى حفلات الغناء ولم يعلم أى شخص فى
المدرسة أنى أغنى حتى لا يطالبونى بالغناء

قررت أن أتوقف عن الغناء تماماً منذ يوم
زفاف مس دوللى .. فى الليل كنت أجلس
وحيدة أنظر للنجوم الساهرة والريح الساكنة
أشتاق إلى الصمت والهدوء فلقد اعتدت
الوحدة . كان صمتى وهدوئى تفوح منه
روائح الحنين لمن تأتلف نفسى معه .

كنا نخرج نهراً في مجموعات إستكشافية
لرؤية البرك التي ياتي إليها السياح من كل
مكان لصيد البط والطيور المهاجرة

لم تكن نزهتنا إلى البرك طويلة جداً فقد
كنت أحب المشي في هذه الطبيعة الساحرة
.. كنا نجوع من كثرة اللعب والمشي فنلتهم
كميات كبيرة من الطعام ونشترك جميعاً في
طهي الطعام وتنظيف الاواني .

تقابلنا مع مدارس للبنين كانت تقيم
معسكرات أيضاً وسرعان ما قامت رانيا
وبعض الفتيات بالتعارف مع مجموعات
الأولاد وتبادلوا معهم الأسماء وأرقام
الهواتف .. بل حددوا مواعيد في الصباح
المبكر للخروج وملاقاتهم . وصل الخبر
للمشرفة فقامت بمعاقيبتهم .

ظنت رانيا انني قد أفشيت السر فأصبحت
تكرهني أكثر من ذي قبل وتتعمد إهانتي

فطلبت من المشرفين نقلى من مجموعتها
وفعالاً إنتقلت إلى مجموعة إيمان ..

إيمان خمرية اللون جلدها حريرى لامع ،
لها شعر أسود طويل . كان وجهها جميل
مثل طباعها فهي دوماً هادئة وقليلة الكلام
والبقاء بالقرب منها مريح .

أحببت إيمان جداً كما أحببتى وإتخذتها
صديقة مقربة .. كانت تتمتع بنفوذ داخل
المدرسة فهي من أسرة عربية ثرية جداً
والدها طلب حق اللجوء السياسي إلى مصر
ثم توفى وهى صغيرة وتزوجت والدتها
.أحد الديبلوماسيين فإختارت إيمان البقاء
فى المدرسة .

علمت أنها هى التى طلبت إنضمامى
لمجموعتها وعند عودتنا إلى المدرسة
إنتقلت للإقامة فى حجرتها التى لا يقيم بها
سوى ثلاث فتيات فقط .. أصبحت أنا
احداهن .أما أمل الفتاة الأخرى فكانت

خجولة وهادئة جداً إلى درجة منعتنا من أن
نكون أصدقاء .. لكنى أحببتها أيضاً كانت
بيضاء فى وجهها نمش وشعرها لونه
نحاسي فى صوتها بحة لطيفة .

بالطبع لم اشترى أى شئى من الفيوم لا
هدايا تذكارية ولا تحف ولا طعام إضافى
فقد كنت أكتفى بما يقدمونه لنا . ولا أريد
إنفاق المزيد من النقود .

أنفقت فى العام الأول جزء كبير من
مشغولات أمى الذهبية .

فى اجازة آخر العام عدت إلى القرية لأجد
الكثير من المفاجآت فى انتظارى . فخالى
فتحى جاءته إعارة لدولة الكويت وسياسفر
قبل بداية العام الدراسي التالى . وبالتالي
ستذهب جدتى لتقييم مع خالى شكرى فى
الإسكندرية .

لذا أقمت معهم مدة الأجازة وبقيت مع جدتى
بعد سفر خالى فتحى وزوجته وأولاده ..

سافرت جدتى وسافرت بعدها بأيام .. طوال
الطريق فى عربة قطار الدرجة الثالثة
الممتلىء بالباعة الجائلين المكتظ بركاب
جاءوا إلى القاهرة حالمين بلقمة عيش أو
مثلى طلاب علم . أومتوجهين لزيارة
الأطباء .. كل هؤلاء .. كنت أشغل وقتى
فى تاملهم .

لكنى الآن منصرفه عنهم كنت مشغولة البال
بجدتى .. كان قلبي يعتصر ألما لبكاءها
حين رحلت ، كيف ستحيا تلك السيدة ربة
البيت وصاحبة الأمر والنهى ، كيف ستحيا
بعيداً عن بيتها وقريتها التى عاشت بها
ستين عاماً كاملة لم تغادرها إلا قليلاً ،
وكيف ستعاشر تلك الإنجليزية الباردة .

رأيت هيلين زوجة خالى مرات قليلة ورأيت
خالى مرات أكثر بقليل فوجدته قد تطبع
بطبعها ، ترى هل صار بارداً مثلها ؟ أكونه
جراحاً أثر فى ملامحه ؟

عندما أعطاني مظروفاً به مبلغ من المال
كمساعدة إعتذرت عن قبوله فطواه ووضع
في جيبه .

أما خالي فتحى فقد أصر أن أخذ منه المال
ووضعه في حقيبتى . قال :

- عارف إن نفسك عزيزة لكن انا خالك
ومحدث يتكسف من خاله .

كانت هيلين زوجة خالى صارمة فى
قوانينها قبلت العيش فى مصر لكنها نقلت
إنجلترا معها بطباعاها .

أشفقت على جدتى .. حاولت خالاتى
طمأنتى قائلات جدتك طيبة وتعرف تعاشر
القرود . إنتِ شايفه وقتها كله بتقضية فى
الصلاة وقراءة القرآن وصحتها الضعيفة
تهخليها محتاجة تعيش فى بيت كله أطباء .
فكرى فى نفسك إنتِ .

مرت ثلاثة أشهر فى العام الثانى وإقتربت
أجازة نصف العام .. كنت اترقب إعلان
معسكر الكشافة .. فلم يعد بإمكانى العودة
للبلدة فبيت جدى قد أغلق وأصبح خالياً من
السكان . ذلك البيت الذى لم تهدأ الحركة
بداخله يوماً قد صار ساكناً هادئاً كالقبر ما
أعظم عبرك أيتها الحياة وما أقسى خطوبك
أيها القدر

إستدعتنى المشرفة لمقابلة محاسب المدرسة
. شعرت بالقلق .. لأننى لم ادخل حجرة
المحاسب من قبل .

(١٤)

نظر لى المحاسب وقال مشفقاً :مما سيقوله
لى

- للأسف هقولك خبر مش كويس يا ياسمين
تلعثمت وهبط قلبي فى قدمى وإرتعش
صوتى :

- خير يا استاذ حد جراه حاجه ؟

- لا اطمنى دماغك راحت فين .. لكن
الإعتماد المالى اللى كان بييسم لك بالإقامة
المجانية اتلغى .

إنهارت قواى فجلست على اقرب مقعد
وقلت فى صوت يشبه الصراخ :

- اتلغى ليه ؟ مهو أنا طلعت الأولى على
المدرسة السنة اللى فاتت !!

كانت المشرفة تنظر لى بإشفاق وقالت :

- وأحسن واحده فى فريق الشعر والخطابة
وكرة التنس والبيانو ومع ان عمرها لا
عزفت بيانو ولا لعبت تنس ولا السباحة
لكن عندها إرادة رهيبية علشان تتعلم وتتفوق

رد المحاسب :

- أيوه يا مس عفاف سبع صنايع والبخت
ضايع.

قلت بألم :

- المهم الإعتماذ اتلغى ليه ؟

- هو أنت مش عايشة فى الدنيا الوزير
إتغير والوزير الجديد رفض التوقيع على
الإعتماذ وقدمنا له التماس دى المديرية
بنفسها راحت قدمت الإلتماس علشان
متحسيس بشيئ .. لكنه رفض .

- والسبب .. رفض ليه ؟

- طالما فى مدرسة تقرب من بيتك بما لا
يزيد عن عشرين كيلو متر وطالما انت
والدك موجود .

- ممكن أروح أقابله ؟

- متحاوليش .. المديره عملت كل شئى
وقالت انها معتمده عليك فى المسابقات لكنه
رفض رفضاً تاماً .

قالت مس عفاف :

- أصلك متعرفيش المصروفات هنا كام ..
دى أرقى مدرسة فى مصر كلها .. الثانويه
هنا أفضل من شهادة جامعية ولا حد فينا
يقدر يدخل ولاده المدرسة دى .

ذهبت لجرة المديره باكية .. كانت المديره
حازمة وجادة وصارمة فى تعاملها معنا
لكنى ولأول مره أراها حنونة ضمتنى
لصدرها وقالت :

- ياريت كان بإيدى حاجه أقدر اعملها ..
كل اللى هقدر أعمله إنك تفضلى هنا لحد
أجازة نصف السنة .. بعد شهر هترجى
بلدك وهنستضيفك آخر السنة على مسؤوليتى
الخاصة للإمتحان .

شكرت المديرية وخرجت وقد انهارت كل
الأمى وطرقت طيور الشر والالام كل
أبوابى ، مسحت دموى كانت الصدمة
أكبر من احتمالى .. اعيتنى الحيل لم استطع
أن أقول شيئاً ولا أن أظهر إلا الطاعة
والإذعان. وتذكرت كل ما مر بعمرى من
قبل من الألام التى غمرتنى كما يغمر الماء
الغريق.. والله أعلم كم مر علىّ من الوقت
وأنا حائرة ساهرة ليلاً نائرة نهاراً لا
أطمأن إلى أحد ولا أسكن إلى رأى

فكرت فى البحث عن عمل فى أحد المنازل
. فكرت ان أذهب لقائد الفرقة الموسيقية
للمعمل كمغنية أو حتى كعازفة ولكن وصية
جدى ماذا اصنع بها ؟.

عندما علمت إيمان بالخبر قررت أن تدفع
لى مصروفات المدرسة لكنى رفضت
وعلمت فيما بعد أن الوصي القانونى عليها
رفض ذلك أيضاً . لم يكن بمقدور أخوالى
تحمل نفقات دراستى ولم اكن لأطلب منهم
ذلك . هزمتى الحياة مرة أخرى فرضيت
من الهزيمة بالإياب .

فى طريق العودة ركبت القطار محملة
بمجموعة كبيرة من الهدايا التى أعطتها لى
صديقاتى . حقيبة جديدة مملوءة بكتب
وملابس وهدايا تذكارية . ومجموعة من
شهادات التقدير .. تذكرت البرنس بطل فيلم
الأيدى الناعمة فى رواية توفيق الحكيم الذى
كان يحمل النيشان ليشتري بثمنه كوز من
الذرة المشوى . كان يعزف البيانو مثلى
ويؤلف مقطوعات موسيقية كلاسيكية فى بلد
لا تسمع الموسيقى .

كنت موهوبة نعم لكن مواهبي لن تفيدنى فى
قريتى .. معى ثياب لا تصلح لإرتدائها

هناك . وكتب بالعربية والإنجليزية ..
ابتسمت بهدوء لطفلة صغيرة تحملها أمها .

حجزت لى المشرفة تذكرة درجة أولى لكن
القطار الذى ركبته كان قشاش فقطار
الدرجة الأولى تم إلغاء رحلاته فى ذلك
اليوم .. كانت هذه أفعال الحياة معى دائماً .

راكبة درجة أولى فى قطار درجة تالته أنا
من ركاب القشاش .. رأيت ثلاثة من
المجندين يجلسون على الرف العلوى
المخصص للحقائب ، أخرج أحدهم ناى من
حقيبته وبدأ يعزف عليه ثم بدأ زميليه
بالغناء .

كان صوت أحدهم أجش غنى أغنية عبد
المطلب . أصغيت لهم بانتباه شديد ، أحببت
غناءهم رغم كل شىء وأردت أن أشكرهم ،
فقد نجحوا فى صرف انتباهى بعيداً عن
أفكارى السوداء .

ثم سقطت نائمة . إلى أن أيقظتني والدة
الطفلة الصغيرة فقد وصلنا وتوقف القطار
عدت إلى قريتي مساء كانت السماء تظللني
بظلمة لولا ترقق ضوء القمر .. قريتي
في أحضان الريف صامته وأنا صامته
أرسل نفسي تجوب ذكرياتي بها أبحث عن
فرحة ما في شوارعها الهادئة هدوء الموتى
،عدت حزينة ساهمة ، لم أجد غير بيت
خالتي أذهب إليه أحتضنتني طويلا ولكنها
نصحتني بالذهاب إلى أبي ، ليبنى ما
استمعت إلى نصيحتها فقد طردتني زوجته
. لكن أكثر ما ألمني أنه رفع صوته قائلاً :
- بنتي ماتت من زمان .

فتحت لى أمى بيت جدى ، جلست معى
قليلاً وقامت بتهوية البيت .. وضعت
حقائبي فى إحدى الحجرات ، تركتني أمى
وعادت لبيتها مع وعد بالعودة فى الصباح

.خرجت وهى تحمل همى فوق ظهرها .
وتساءلت أينأ أحق بالشفقة أنا أم هى ؟
تمنيت أن أموت ولا أراها حزينة هكذا ..
حاولت أستعادة ذكريات الماضى .
إستنشقت روائح من كانوا هنا وغابوا .

دخلت وسط البيت وقفت فى حجرة الفرن
تذكرت جدتى وهى تجلس بجانب نجية التى
كانت تخبز لنا تناولها الأربعة فتظل نجية
تديرها بمهارة على المطرحة الخشب حتى
تجعله دائرة تشبه القمر الأبيض فى صفحة
السماء ثم تضعها فى الفرن وتضع بعض
اللفافات من قش الأرز ثم تمد المطرحة إلى
جدتى فتضع عليها رغيفاً آخر .. كان مذاق
هذا الخبز أجمل من أى خبز آخر تذوقته فى
حياتى .

هاهو الفرن لا يزال قائماً فى مكانه لكن أين
اللهب وأين الدفاء وأين رائحة الخبز ،
صعدت السلم إلى الدور العلوى هناك جزء

كبير مخصص لتربية الدواجن إنحيت لا
إراديا ورفعت طرف ثوبى كما كنت أفعل
وأنا صغيرة لأضع بحجرى بيض الدجاج ثم
أنزل السلم بحذر وأعطي البيض لخالتى أو
جدتى .

وقفت بجوار سور السطح كما كان يحلو لى
الوقوف لقطف ثمار التوت حاولت إستنشاق
رائحة الياسمين فلم أجد له رائحة فنظرت
للشجيرات الذابلة بحزن وإنهمرت دموعى .

نزلت السلم مهرولة فقد سمعت صوت
صهيل شربات الفرسة التى ماتت حزناً
على جدى .

هل جننت ؟ لقد سمعت تلك الأصوات
وشممت الروائح .. وضعت رأسي على
الفراش فأنهمرت الدموع غزيرة .

جاءت أمى فى المساء ومعها ريهام إبنة
خالتى .. لقد تطوعت ريهام لتبيت معى
وأحضرت لى الطعام .

لكننى بحثت عن عمل ووفقت لذلك .

حصلت على عمل فى صيدلية الدكتور
مجدى وأصبح لى راتباً يمكننى من إتمام
نفسى وبخاصة عندما وجدت زوج أمى قد
كتب لى على كيس الطعام كلمة بالسهم
الهارى .

لم أر هذه الكلمة إلا بعد أن تناولت الطعام
فلم تهدأ معدتى حتى تقيأته .

صرف لى دكتور مجدى راتب شهر مقدماً
كان راتبي خمسة وثمانون جنيهاً ، فأعطيت
خالتي سوسن عشرون جنيها .

كان سعر الدجاجة خمسة جنيهاً وسعر
البيضة خمسة قروش وسعر قطعة الجبن
القريش أربعة قروش .. ملأت لى خالتي
الثلاثة بيض وجبنة واشترت فرخة قسمتها
على أربعة أكياس واشترت بطاطس
وطماطم وبرتقال .. طعام كثير سيكفينى
لآخر الشهر .

عندما علم أحوالى بعودتى للبيت أرسلوا
نقوداً أيضاً فوضعتها لى أمى فى دفتر
التوفير وقالت :

- تقدرى تسببى الشغل وقت ما تحبى .

كانت ثيابى بسيطة وقليلة جيب واحد لونه
أسود وثلاث بلوزات وبلوفر وجاكيت
للشياء .

بدأت ألبس جيب تاير المدرسة الأزرق
وكان عندى مجموعة من الإيشاربات ألفها
على رأسى كحجاب بسيط .

كنت سعيدة أن سنوية لن تقص لى شعرى
بعد الآن .

كنت أستعمل حجرة واحده فى بيت جدى
بها فراش ودولاب ملابس ومكتب .. علفت
الستارة التى صنعتها لى أمى على النافذة
وعدت أروى شجرة الياسمين فعادت لها
الحياة مرة أخرى .

لم أكن أشعر بالوحدة فهذا البيت مملوء
بالضجيج ، ضجيج الذكريات كل مكان لى
فيه ذكرى جميلة أو ذكرى مؤلمة لكنه بيتى
ومكانى المفضل فى العالم ولا أشعر
بالراحة إلا بداخله .بداخله يكون كل شئ
هادئ مطمئن

إنظم عملى بالصيديليه كنت استقبل الحياة
دون رغبة بها وأتصنع النشاط ولا أشعر به

(١٥)

هل تذكرون الشاب الذى تلقى عنى صفة
خليل ؟

شاب وسيم الملامح طيب القلب . لم أكن
أعرفه من قبل برغم أنه من بلدتنا إلا أن لهم
عزبة خاصة تملكها والدته وخاله .. أما
والده فهو معدم .

والده قاهرى جاء الى البلدة ومعه
مجموعة من الإدعانات الكاذبة .. أولها أنه
اعزب ، وثانيها أنه ثرى .

حتى تزوج من السيدة يسرية ..

كانت يسرية قد كبرت فى العمر دون أن
تتزوج ، برغم جمالها و ثرائها فقد كانت
تخاف من الطامعين فى ثروتها . كان لها
شقيق واحد تزوج مبكراً من فتاة يحبها ، إلا
أنها عندما اكتشفت أنه غير قادر على

الإنجاب طلبت الطلاق . فقرر ألا يتزوج
ثانيةً.

خُذعت إذًا يسرية . فتزوجت من والد عادل
الذى أخبرها كذباً عن مصنعه فى القاهرة
وأملأه فى تركيا .

بعد فترة قصيرة إكتشفت كذبه .. فى البداية
طلبت الطلاق ولكن عندما إكتشفت حملها
بعادل قررت أن تظل متزوجة به والزمته
بالعمل فى أرضها . وكانت حريصه معه
فى الأمور المادية وظل هو كذلك محتفظاً
بزوجته القاهرية .. أم خالد حتى توفيت .

كان يتمنى ألا يموت حتى يرث يسرية
وينعم بثرائها .. يركب سيارة فاخرة بدلاً
من سيارته المرسيديس القديمة التى كانت
ملكاً لوالد يسرية .

رأيت خالد مرة واحدة عندما كنت صغيرة
.. عندما جاء خالى شكرى للبلدة ، جاء خالد
لزيارته .

كان خالد تلميذ خالى فى كلية الطب .
عندما تخرج خالد من الجامعة سافر الى
بريطانيا ولم يعد الى مصر ابداً .

عادل أيضاً لم أراه الا مرة واحدة ، يوم
زفاف مس دوللى .

عندما زرتها بعد عودتى من القاهرة كانت
مس دوللى قد زاد وزنها كثيراً بسبب الحمل
. رأيت صور الزفاف معلقة على الحائط
أعطتلى صورة كان يظهر فيها عادل ..

سألته عنه ، قالت بحزن :

- مسكين .. كان فى آخر سنه فى كلية
الزراعة . شايفه وسامته ! كان فى قمة
الأدب والذكاء .

سألته :

- وليه كان ؟ هو ايه اللى حصل ؟

قالت :

- انتى متعرفيش؟! اه صحيح انتى كنتى
بره البلد .. عادل اتعرض لحادث سيارة
سببت له عاهه مستديمة فى يده وقدمه
وحرقت فى جانب وجهه .. وبرغم عملية
التجميل إلا أن الحرق ترك أثراً واضحاً فى
وجهه .. وصداً مزمناً يجعله يعيش
بالمسكنات وينام ١٦ ساعة كل يوم
صرخت قائلة :

- يا الله .. مسكين !
وبكيت حقاً وكنت حزينه عليه .

قالت مس دوللى :

- كفايه عياط ياياسمين .. لولا إنى اعرف
رقة قلبك لكنت افكرتك تعرفيه .

قلت لها :

- لا لم أقابله إلا يوم زفافك .. يومها أنقذنى
من خليل .

قالت :

- عارفه .. تعرفى إنه كلمنى كثير جداً عنك
. كان يتحدث عن جمالك وصوتك الجميل
وكان معجباً بشجاعتك فى موقفك من والدك
وخليل . وصارحنى بأنك فتاة احلامه
وبرغبته بالزواج منك .

- منى أنا !!!

قالت :

- أيوا .. كان ينتظر تخرجه ليفاتح والدته
فى أمر زواجك .

قلت لها :

- ربما كان تفكيره هذا سبباً فى مأساته .

قالت بتعجب :

- أزاى ؟!

قلت :

- اعتقد أنني منحوسه .. بمجرد تفكيره فى
الزواج منى .. كاد يموت .
ضحكت مس دوللى .. فنظرت لها معاتبة .

قالت :

- دمك خفيف أعمل ايه ؟ على فكرة هو
جاى هنا بعد شوية .

- مين ؟

- عادل .

- طيب همشى أنا .

- لأ هو عاوز يشوفك وهو اللي طلب منى
اعزمك .

- معقول .

- والله .. جوزى راح يجيبه . أول مايدخل
ياريت متحسسيهوش بحاجه أصله بقى
حساس جداً .

- طب عاوز يشوفنى ليه ؟

- معرفش . لما عرف انك رجعتى طلب
يقابلك .. انتى اكيد عارفه إنه قريبي وقريب
زوجى .

بعد قليل دخل عادل يسير مستنداً على
عصى ، وكان نصف وجهه لا تزال تبدو
عليه آثار الحرق ، عندما رأيته قمت واقفه
لتحيطه .

قال وكأنه يعرفنى جيداً من قبل :

- ازيك يياسمين .

- اهلاً بيك ، ازيك انت عامل ايه ؟

- ابتسم قائلاً :

- انا الحمد لله .. ثم شعر بنظراتتنا وفضولنا
فقال مباشرة :

- الأستاذه دولت قالتلك انى طلبت اشوفك ؟

أومئت برأسى موافقة .

قال :

- جميل جداً .

أختار أكبر مقعد فى الحجرة وجلس عليه ثم
أكمل قائلاً :

- وإنتِ أكيد استغربتِ .

قلت بإضطراب :

- فعلاً .

- كل الحكاية إنى عايزك فى شغل وسمعت
إنك بتدورى على شغل .

قلت :

- أنا اشتغلت فعلا فى صيدلية الدكتور
مجدى عثمان .

- ما أظنش هترتاحى هناك .

وهز دكتور مصطفى رأسه موافقاً

قلت بسرعة :

- بالعكس دكتور مجدى راجل طيب
وفرحان بشغلى جداً وخصوصاً إن أنا
كويسة فى الأنجليزى ، وعملى مرتب كبير

قاطعنى عادل وقد ظهر الألم على وجهه
يبدو أن الصداع قد بدأ يعاوده نقلت عيني
بين وجهه ووجه مس دولى الحزين .

- ممكن تسمعيني للأخر أى مرتب هتطلبه
هديهولك .

قلت :

- هسمعك بس ممكن متتكلمش وإنت تعبان

قال وهو يضغط على حروف كلماته وكأنه
أراد أن أفهم قصده من وراء كلماته .

- دى اول مرة أخرج من البيت وخرجت
علشان أعرض عليك الشغل .

قلت بحيرة واندهاش:

- طيب هشتغل عندك فى إيه فى الأرض
ولا فى البيت .

انتفض قائلاً :

- معاذ الله ، إنتِ ست البنات انا محتاج
سكرتيرة حد يقرأ لى ويكتب لى . إنتِ
بتحبي الشعر وأنا محتاج حد مثقف . ثم
تنهد قائلاً إيدى اليمين وعينى اليمين زى
مانت شايفه ، وأنا قررت ألف كتاب .
ممكن توافقى ياياسمين .

قلت بفرحة :

- موافقة لكن بشرط .

- إي شرط ؟

- هشتغل بدون أجر عارفه إنك غنى جداً
وأنا فقيرة جداً ، هفضل أشتغل فى الصيدلية
وكل يوم من الساعة ٦ للساعة ٨ مساءً

هكون تحت أمرك بس بدون أجر أرجوك
توافق ولا تصر تديني أجر وتجرح كرامتي
قال متأثراً :

- موافق وهنبداً أمتي ؟

- من بكره لو حبيت .

- هستناكي بكره مساءً . إستأذنت مس
دوللي ووعدتها أن أزورها مرة أخرى
عندما تضع مولودها.

في اليوم التالي خرجت من الصيدلية في
الرابعة عصراً عدت للبيت توضأت
وصليت العصر ثم أخرجت بعض بواقي
الطعام وقمت بتسخينها . وتناولت طعام
الغداء . بدأت في غسل الأطباق وترتيب
البيت وجدت الساعة قد تجاوزت الخامسة
والنصف صليت المغرب ثم إرتديت
ملابسي .. إرتديت جيبتي السوداء الوحيدة
فوقها بلوزة كاروهات بها درجات اللون

الأزرق وفوقها جاكيت قديم من الجينز
الكحلى وإيشارب كحلى كانت ملابسي
قديمة لكنها نظيفة ومنسقة وحذائى قد قمت
بإصلاحه اكثر من مرة لكن جلده لامع
والإصلاحات لم تعد تظهر .

مررت فى طريقى بالكثير من البيوت التى
اعرف أصحابها .. قرينتنا كبيرة وبها عدد
كبير من السكان لكنهم يعرفون بعضهم جيداً
، فى قرينتنا لا يوجد أسرار ولا
خصوصيات .

عندما وصلت لآخر بيت فى الكتلة السكنية
كان أمامى طريق طويل يؤدى إلى منزل
عادل .. طريق خالى تماماً من المنازل
ولكنه محاط بالأشجار على جانبية ..
وجدت عم حسين السائق ينتظرنى على أول
الطريق قال :

- أهلا يا ياسمين استاذ عادل بعتنى اجيبك
لكن شفتك جاية من بعيد .

- أهلاً ببيك يا عم حسين .

سرت معه فقال :

- الأرض اللي علي يمينك وشمالك دي ملك
للمست يسرية والاستاذ فؤاد .

كانت مساحة شاسعة من الأرض الزراعية
هذا الطريق الممهّد المحاط بالأشجار خاص
بهم أيضا لم أكن أظن أن الطريق طويل
هكذا .

فتحت البوابة فإذا انا في حديقة غناء مملوءة
بأشجار لم أرى شبيها لها في قرينتنا من قبل
، لكنى رأيت أشجارا كثيرة مثلها في
الحديقة الدولية عندما ذهبت إليها في رحلة
مع المدرسة .

في وسط الحديقة نافورة كبيرة على حوافها
مجموعة من تماثيل الدولفين . لم تكن
النافورة تضح الماء لأننا في فصل الشتاء .
كلما إقتربنا من المنزل كان يبدو أكبر حجماً

كان المنزل العتيق فى الواجهة على شكل
مستطيل مكون من ثلاث طوابق لونه أبيض
والأبواب والنوافذ لونها أزرق . قال عم
حسين :

- القصر ده عمره ميت سنه على الأقل .

همست قائلة :

- قصر .

- أه طبعاً!! إستنى لما تشوفيه من جوا
ماليان تحف أثرية .

تمنيت أن أعود من حيث أتيت ، فلقد
شعرت برهبة كبيرة تتملكنى ..صعدنا
مجموعة كبيرة من السلالم ووقفنا فى
الفراندا .. امام البيت كانت الفراندا فى حجم
مضيئة جدى وكانت مفروشة بطقم من
مقاعد البامبو عليه وسائد زرقاء مثل لون
الأبواب والجهة الأخرى طقم من الحديد

المشغول وعليه وسائد لونها نبيتي .. كانت
الفراندا فقط تكفيني لأشعر بروعة المكان .

دخلت خلف عم حسين فكان شكل المنزل
من الداخل مفاجئاً أكثر من شكله الخارجي
كل شئ فيه يدل على الفخامة ، حجرة
إستقبال كبيرة جداً فى إتساع خمس منازل
على الأقل من منازل القرية .

كانت النوافذ المرتفعة مغطاة بستائر من
القطيفه تحتها ستائر من الحرير والدانتيل ..
وقفت بين فازتين من البورسيلين أكبر منى
حجماً .

فى الواجهة سلم من الرخام يصعد إلى
الأدوار العليا درجاته مغطاة بسجادة حمراء
وفى وسط الصالة الكبيرة تتدلى نجفة
ضخمة الحجم .

رأيت بالقرب من السلم بيانو أسود اللون
أكبر من بيانو المدرسة . كانت الأرضيات
من خشب الباركية المغطى بسجاد رائع

الجمال.. تركنى عم حسين أنظر إلى روعة
المكان بإنبهار قال بفخر عمرك شفتى مكان
اجمل من كدا ؟

لم استطع أن أرد ففتحنحت محاولة السيطرة
على انبهارى :

- هو ما فيش حد هنا ولا إيه ؟

- لا طبعا هدى خبر لأستاذ عادل .

بمجرد خروجه ذهبت ناحية البيانو لمست
بيدى أصابغة التى اشتقت للمسها فجاءت
يسرية هانم مرحبة بى قائلة بود ظاهر
وترحاب محبب :

- أهلاً ياسمين اهلاً يا بنتى .

كنت أراها لأول مرة .. كانت جميلة
الملامح ممثلة القوام ولكنه إمتلاء معتدلاً ..
تشبه عادل كثيراً عيناها عسلية .. عندما
رأيتها ذكرتتى ملامحها بممثلات السينما
اللاتى كن يؤدين دور الأرسقراطيات

،اللاتى يتركز بعض الخصلات البيضاء فى
مقدمة الشعر.

سلمت عليها قالت :

- إنت جميلة زى مامتك .

- حضرتك تعرفى ماما ؟

- طبعا وأعرف جدتك كمان وجدك الله
يرحمه كان صديق فؤاد أخويا وكان دائماً
بيروح يسهر معاه .

جاء استاذ فؤاد ورحب بى أيضاً قائلاً :

- وياما شلتك وإنت صغيرة .. تعرفى إن
جدك كان أكبر منى بخمس سنين بس يعنى
لو عايش الآن كان زمان عمره خمسة
وستين سنة .

تنهدت قائلة :

- الله يرحمه .

جلست بجانب الست يسرية فى الصالون
الصغير ثم وقفت ثانيةً ، عندما دخل عادل
كان مبتسماً وجهه مشرقاً حين رآنى قال
معتذراً :

- متأسف لأنى مكنتش فى استقبالك يا
ياسمين بس كنت مع الدكتور .

إبتسمت وقلت :

- ولا يهملك الست يسرية كانت موجودة
وأستاذ فؤاد كمان .

شعر بالراحة وقال :

- إتفضلى اقعدى إحنا النهاردة هنتعارف
ومن بكره هنبندى الشغل .

قلت :

- موافقة .

قالت الست يسرية :

- أنا فرحانه بيكى يا ياسمين .

قلت بابتسامة :

- والله وأنا سعيدة بوجودى معاكم هنا كمان
البيت جميل جداً -وأشرت إلى البيانو-
شكله رائع ..نوعه إيه ؟ كان معلقاً بجانبه
عود قديم .

- آه ده هبر المانى والعود ده تركى قديم .

نظرا لبعضهم ثم نظرا لى بتعجب قال عادل

- إنتِ بتفهى فى الآلات الموسيقية ؟

قلت ببساطة :

- أنا درست سنتين على إيد مسيو بيير ..

يعتبر من أفضل البيانيست فى مصر .

قال فؤاد :

- ياريت تعزفى حاجه .

جلست على مقعد البيانو ثم إنطلقت أصابعي
ترقص فوق المفاتيح بشوق فمألت
الموسيقى الجميلة القاعة .. إنفتح فم يسرية
لشدة دهشتها وقالت :

- إنتِ عازفه بارعه .

وقفت بجوار البيانو وقلت :

- بعض المفاتيح محتاجه تتصلح .

قالت الست يسرية :

- هو من زمان محدش عزف عليه .

قال فؤاد :

- هبعث أجيب حد يصلحه بس بشرط تبقى

تسمعينا حاجه من عزفك الجميل .

هزرت رأسي وقلت بفرحة :

- موافقة طبعاً .

- عادل كمان بيعزف حلو .

إبتسم قائلاً :

- هعزف لو ياسمين عزفت معايا .

رق وجهها لسماع ضحكته وتبادلا نظرة لم أفهمها فظهرت السعادة على وجه يسرية هانم انسحبت يسرية وفؤاد بهدوء حتى أننى لم أشعر بهما .

قال عادل :

- على فكرة هما حبوكى جداً.

قلت بصوت هامس :

- بيحبونى .

نظرت لوجهه فنظر إلى ، بدأت بيننا لحظة من التواصل دون كلمات ، تذكرت ما قالته مس دوللى عندما قالت إن عادل يحبنى . رفعت وجهى ونظرت له مرة أخرى فقال منهيأ فترة الصمت :

- هتقعد من بكره فى أوضة المكتب ..

تحي تشوفيها ؟

- ياريت .

- إتفضلى .

وأشار إلى حجرة جانبية سبقته إليها ، دخل

وترك الباب مفتوح .. كان بالحجرة مكتبة

تغطى ثلاث جدران كاملة ومكتب كبير

وضع عليه جهاز كمبيوتر .. كان وجود

جهاز كمبيوتر فى نهاية الثمانينات شئ

مذهل وخصوصاً فى الريف لكن فى هذا

البيت الجميل ما عاد شئ يدهشنى .

أشار عادل لأحد المقاعد وقال :

- إتفضلى جلست فناولنى بعض الأوراق .

دخلت خادمة تحمل صينية كبيرة عليها

إبريق شاي من الصينى وفناجين وطبقين

من الجاتوه أحدهما بالكريمة والأخر

بالشيكولاه .

قال عادل :

- حطى اللى معاكى هنا يا فاطمة .

إبتسمت لى فاطمة وقالت :

- أهلا بيك .

قال عادل :

- فاطمة بنت عم منصور هى وإخواتها
متربيين معانا هنا أمها الله يرحمها رضعتنى
يعنى فاطمة أختى من الرضاعة.

- أهلاً بيكى يا فاطمة .

ناولتنى طبق الجاتوه بالشيكولاه وقالت :

- كل البنات بيحبوا الشكولاته .

فابتسمت وقلت :

- صحيح .

سألتنى :

- كام معلقة سكر .

- واحده بس .

ثم ناولت عادل الشاى وقالت :

- استاذ عادل بيشربه ساده .

خرجت فاطمة وهى تشعر بالفخر ، كانت سعيدة بالطريقة التى قدمها عادل بها .

أخذت قطعه من الجاتوه بالشوكة وشربت قليلاً من الشاى .. نظرت لوجهه فرأيته ينظر نحوى أيضاً ثم قال :

- إتفضلى إشرىبى الشاى .

تجولت عيناى فى انحاء المكتبة . سألتنى :

- بتحبي الكتب .

- جداً .

- دولت قالت لى ان انت بتحبي القراءة .

- المكتبة كلها تحت امرك ، إستعيرى أى كتاب يعجبك .

بدأ يستعرض معى أركان مكتبته فكانت مقسمة لمجموعة من الدوايب كل دولاب يحتوى على فرع من فروع المعرفة ..
وقفنا أمام كتب الزراعة فقلت :

- ليه درست فى كلية الزراعة .

أكملت بإبتسامة : مكتب التنسيق برضة .

قال :

- لا أنا بحب الزراعة بحب النباتات جداً
شفتى الحديقة إالى برا.. الزراعة وتربية
الحيوانات هوايتى وكمان مصدر دخلى قبل
الحادثة.. كان عندى مشتل كبير .

ناولنى بعض الأوراق وقال :

- ده هيكون شغلك نظرت وبدأت أقرأ .

قلت :

- خطك جميل .

- دى كتبتها قبل الحادثة ، لو شفتى خطى
حالياً مش هتعرفى تقريه .

أدركت أن الدموع ملأت عيني فنظر لى
بكآبة ثم حاول أن يبتسم قائلاً :

- هتكتبي ؟

قلت :

- هكتب .. أقعد فين ؟

قال :

- من بكرة هتقعدى على المكتب .. النهارده
هتتعرفى على طبيعة الشغل .

- ممكن أطلب منك طلب يا ياسمين .

- إتفضل .

- ياريت تدينى وقت فراغك كله .

إبتسمت بحرج قائلة :

- وشغلى فى الصيدلية ؟

قال :

- مفيش داعى لشغل الصيدلية والمرتب
بتاعك ممكن اديكى ضعفه .

وقفت غاضبة وقلت :

- أظن إحنا اتفقنا يا أستاذ عادل .

إعتذر قائلاً :

- متأسف خلاص ساعتين بس زى ما إحنا

- ايوه .

- طيب عم حسين هيجى لك على باب
الصيدلية كل يوم ويبقى يرجعك علشان بس
متضيعيش وقت فى الطريق .

- موافقة .

خرجنا إلى الصالة فقابلتنا والدته بإبتسامة
دافئة .

تكرر ذهابي إلى قصر عادل .. قال لي يوماً

- عارف انك هيجي يوم هتتعبى من
المشوار وتزهقى من صُحبتى .

كان بيتسم نصف إبتسامه ولكن عيناه كانتا
جادتين تماماً .

قلت بهدوء :

- مش ههرب أبداً .. أولاً المشوار
مبيتعبنيش عم حسين بيجبني ويوديني
بالعربية .. ثانياً أنا بستمتع جداً بقراءة
أشعارك . - وخفضت صوتى قائلةً -
وبصُحبتك .

قال مبتسماً من جديد :

- هنشوف .. عموماً بكره هترتاحى منى .

قلت بقلق :

- هرتاح إزای ؟

- أنا بكره مسافر القاهرة عندى متابعة مع
الدكتور وهبات هناك .

كنت حزينة لأنى شعرت بأن الصداع عاوده
، أطرقت صامتة .

- هتذاكرى ولا هتعملى إيه ؟ قصدى لو
مجيتيش بكره هتقضى الساعتين بتوعى
إزای ؟

همست قائلة بصدق :

- مش عارفة هعمل إيه . يمكن رجلى
تجيبنى هنا ولو ملقيتش حد هلف حوالين
السور . اتعودت اجى هنا كل يوم ..
وصدقتى بكون سعيدة قوى وأنا معاك .

تأثر بكلامى فإرتسمت إبتسامة ملائكية
أنارت وجهه . ثم أغمض عينيه ووضع يده
على رأسه

ناديته بقلق :

- عادل ..

ظل ممسكاً رأسه و قال :

- نعم ؟

- حاسس بإيه ؟

وضعت يدي على يده فأمسكها :

- إطمنى أنا بخير حاسس براحة كبيرة .

أنته موجة من الألم جعلت إبتسامته تزوى
وجبينه يتغضن ..

قلت :

- أنه لست يسرية ولا أعمل إيه ؟

قال :

- أقعدى .

ثم ضغط جرساً فى حرف المكتب وظل
يضغط عليه .. فى أقل من عشرون ثانية
كان خاله وأمه ووفاطمة معنا فى الحجره .

عندما رأهم وضع وجهه على المكتب
فأسندوه وإصطحبوه لحجرته ، بقيت وحدى
والقلق ينهشنى . جاءت فاطمة وقالت

- عادل عايز يشوفك .

ذهبت معها لحجرته .. كانت الحجره
الملاصقة لحجره المكتب . إبتسم عندما
دخلت من الباب وقال :

- أول مره تدخلى أوضة واحد عازب ؟

قلت :

- أول مره ادخل أوضة بالجمال ده .

أشار للشباك وقال :

- الشباك ده بيطل على المشتل .. والمكتبة
دى فيها كل الشرايط والإسطوانات لأغانى
كثير .

اقتربت منه وسألته :

- إنتَ بقيت كويس .

- الحمد لله كويس جداً .

قمت واقفة برغم رغبتى فى البقاء لكنى
خجلت من نظرات والدته وخاله فؤاد :

- طيب أنا هروح .. أشوفك بعد بكره إن
شاء الله .

خفض صوته وقال :

- هتوحشينى .

إلتهبت وجنتاى إحمراراً فإبتسم أستاذ فؤاد .

خرجت الست يسرية خلفى .. كان وجهها لا
يزال قلقاً وقالت

- ياسمين أنت هتيجى بكره أنا عايزة أتكلم
معاكى يا بنتى .

- هو حضرتك مش هتسافرى مع عادل ؟

- لا فؤاد بيروح معاه أنا بتعب من السفر ..
هتيجى ؟

قلت بابتسامة :

- آه هاجى لحضرتك إن شاء الله .

كنت أذهب إلى الصيدلية فى الثامنة صباحاً
، كان يعمل فى الصيدلية شخصان ..

الأول هو "طارق" شاب من أظرف
الشخصيات التى قابلتها فى حياتى ، خفة دم
وسرعة بديهة .. كان متخرج حديثاً من كلية
الصيدلة ، لا يكف عن المزاح والضحك
وعندما يرانى صامته لا يهدأ له بال حتى
أبتسم ثم أبدأ فى الضحك والقهقهه فيقول :

- بس يخرب بيتك هتفضحينا الناس هتقول
إيه ؟

كانت عيناه ترقصان طرباً لأنه يستطيع أن
يجعلنى أضحك . كان مستمتعاً بذلك أكثر
مما ينبغى .

جاءت أمى للصيدلية لشراء دواء لأخى
الصغير حسام .. كانت تحمله على كتفها
فحملته عنها فقد كانت حرارته مرتفعة
وعينيه حمروان قبلته على خده .
فإحتضننى وقبلنى .. فبكيت .

أخذ طارق الروشنة من أمى وقام بصرفها
لها بينما إنهمكت أنا فى الحديث معها ومع
أخى . لم ينجب أبى ولا أمى أختاً لى
وأنجب كل منهما ثلاثة أولاد .

كم تمنيت أن تكون لى أخت .. لكنى كنت
سأحرم منها على أى حال.

بعد انصراف أمى قال طارق :

- أمك تشبهلك جداً .

- هي تشبهني لكنها أجمل مني .. مسكينة
أنا تعبتها كثير وكثير إتمنيت إني مكنتش
إتولدت أصلاً أو إني أموت علشان هي
ترتاح .

كان الحديث عن ذلك يجعلني أشعر
بالإكتئاب .

رفع حاجبيه متعجباً من كلامي . فأكملت

- لما إتولدت أنا كانت أمي في نفس عمري
تقريباً وكانت مُطلقة .. لو كانت مطلقة
بدون أطفال كان وضعها هيكون أفضل
طبعاً .

كان منزعجاً من كلامي .. ربما إنتقلت
عدوى الإكتئاب إليه فقال بصوت يحمل
نبرة التأنيب :

- أكيد .. لكن خللي بالك "لو" بتفتح عمل
الشيطان وأنا شايفك مؤمنة. إنتِ عندك كام
سنة ؟

- عندي سبعة عشر سنة .. لكن اضرب كل
سنة فى عشرة لإنى معشتش حياة عادية
زى كل البنات اللى فى سنى .

- عارف ياياسمين .. أنا لما شفت والدتك
إستغربت إنها تتجوز واحد زى نعمان .

قلت مدافعة :

- على فكرة نعمان طيب معاها وبيحبها
قوى كل مشكلته فيا أنا .. وأنا بعيدة عنهم
علشان ربنا يسعدهم .

- أتمنى إنهم يقدروا تضحيتك دى .

- تضحية .. بتسميها تضحية ؟

- هى تضحية فعلاً .. هما هنا كأنهم
بيضحوا بالجنين علشان الأم تعيش وتستمتع
بحياتها .

- لا أبدأ مش زى ما إنتَ فاهم .

كان شعورى بالحزن شديد الوضوح فى
صوتى .

قبل أن يرد دخل عم سيد من الباب .. وعم
سيد هو الشخص الثانى .. راجل كبير فى
السن ، يعمل فى الصيدلية من أيام دكتور
عثمان والد الدكتور مجدى صاحب
الصيدلية .

كان هذا الرجل يتعامل معى بكراهية شديدة
ولا أعرف السبب ، ويضيق بى ويقول لى :

- يا بنتى بلاش الشغل هنا .

كنت لا أعيره اى اهتمام .

بدأ علي طارق الإنزعاج وجلس على
المكتب يقلب فى الأوراق التى أمامه .

قال :

- سكتوا لما شفتونى .. كنتوا بتتكلموا فى
إيه ؟

قال طارق ببرود :

- كنا بنراجع أسماء الأدوية الممنوعة فى
الجدول .

بدا عليه الضيق .. لم يكن يحب أن يرانى
اتحدث مع طارق ولا مع دكتور مجدى .

أما الدكتور مجدى فكان حنوناً وطيب
القلب يعاملنى كإبنته .

أنهيت عملى فى الصيدلية فى الرابعة
عصراً ، فعدت إلى البيت وقمت بتنظيف
حجرتى وطبخت طبقاً من الأرز .. جاءنى

وليد ابن خالتي بنصف كيلو من السمك
المشوى .

كنت أعطيت خالتي ثمنه وطلبت منها
شراءه وشويه لى فتناولت الغداء ثم لبست
ملابسى على عجل ، خشيت أن أتأخر على
موعدى مع أم عادل .

عندما خرجت وجدت عم حسين أمام الباب
ركبت معه وقلت

- هو إنتَ مرحتش مع أستاذ عادل وأستاذ
فؤاد .

قال بضيق :

- لا راح معاهم السواق الجديد .

- شكلك بتحب تسافر معاهم .

قال بأسف :

- كنت .. لكن خلاص بقيت عجوز نظرى
ضعف والست يسرية بتخاف على أستاذ
عادل .

حاولت تغيير مجرى الحديث فقلت :

- إنتَ بلدك إيه يا عم حسين ؟

قال :

- أنا من فاقوس شرقية .. مرأتى وولادى
عايشين هناك .. عندى ولدين فى الجامعة
وتلات بنات جوزتهم .

- ما شاء الله .

وصلت للقصر ووجدت الست يسرية
تنتظرنى ، كانت عصبيتها وقلقها ظاهرين
على ملامحها قلت لها :

- حضرتك قلقانه على عادل ؟

- عادل متهور يا بنتى .. صمم بعد ما
خلص الفحوصات بتاعته أنه يرجع الليلة .

قلت بتساؤل :

- حضرتك خايفه علشان الليل والضلمة .

- لا .. هو مفروض يرتاح هو لما بيعمل
أى مجهود بيتعب ، الحادثه كانت سبب فى
إنقطاع للضفيرة العصبية فسببت له شلل فى
إيده ورجله وأثرت على العصب البصرى .
الدكاترة عملوا له عملية ترميم للأعصاب
المقطوعة وقاموا بتطعيم الأعصاب
المقطوعة بأعصاب من خارج الضفيرة .
لازم له راحة لازم ينام كثير .

قلقت من كلامها ، ترى هل هى رافضة
لوجودى مع عادل .

سألتها :

- حضرتك قلقانه لأن عادل بيرهق نفسه فى
الكتابة ؟

- بالعكس يا بنتى الكتابة ووجودك هنا بيديه
دافع للحياة هو مبقاش سعيد إلا لما شافك
وبدأتوا فى كتابة الديوان .

نادت على فاطمة وقالت :

- ياسمين هنتغدى معايا النهارده .

- أنا الحمد لله إتغديت والله أشكرك .

- كده يعنى إنتِ دائماً بترفضى تاكلى هنا .

- لا إزاي باكل جاتوه وساعات فاكهة .

- وده ينفع لازم تتغدى مرة معنا .

- حاضر إن شاء الله لكن حضرتك قلتى إنك
عايزانى فى موضوع .

- أه عادل قالى إنك رافضة تاخدى منه أى
فلوس لكن إنتِ بتأدى عمل ولازم تاخدى
أجر .

- أنا إشرطت على عادل من البداية إن
عملى تطوعى .. كفاية إنه وعدنى إن إسمى
هينكتب على الديوان .. قام بتدوينه ياسمين
الوردانى .

إبتسمت وقالت :

- إسمك مكتوب فى قلبي وقلب عادل .

- حضرتك طيبة جدا يا ست يسرية .

- وحشة قوى ست يسرية دى يا ياسمين .

- الناس بينادوكى كدا .. ممكن أقول يسرية
هانم ؟

ابتسمت وقالت :

- لا .. قولى ماما يسرية . ده لو مكانش
يضايقك .

قلت بحب :

- بالعكس ده شىء يسعدنى .

- حابه كمان نفسي أطلبها منك .

- حابه ايه اتفضلى؟

ترددت قليلاً ثم قالت :

- إنت بنتى وأنا مش عايزة بنتى تتبهدل فى
صيدلية مجدى عثمان وتتعرضي لزبائن
وحد يطمع فيكى .

قلت بهدوء :

- يعنى حضرتك عايزانى أسيب الشغل؟

نطقت كل كلمة بهدوء وتدقيق شديد :

- أيوا يا بنتى أنا خايفة عليكى .

- متخافيش والله أنا بخير ومحافضة على
نفسى وبعدين الشغل مش عيب .

إلتمعت عيناها بذكاء وقالت :

- لا مش عيب لكن لازم تشتغلى شغل يليق
بيكى إنتِ مش عارفه إنتِ مين وحفيدة
مين؟

نظرت فى عينها فلم أجد إلا قلقها من أجلى
وإهتمامها بي .. فلم أجد شيئاً أقوله لكنها لم
تمهلنى ..

فقالَت :

- هاه قولتى إيه ؟

- أوعد حضرتك إنى هدور على شغل تانى
، باقى شهرين على الإمتحانات .. هاخذ
أجازة بعد شهر ومش هرجع تانى .

- وعد يا ياسمين ؟

شعرت بأنها أحكمت إغلاق الفخ فقلت وأنا
أشعر بقرصة فى معدتى :

- وعد يا ماما تنهدت .

أغمضت عينيها ممتنة ثم فتحت عينيها
الواسعة وناولتني مظروف وقالت :
- ممكن تخلى ده معاكى لو احتجتى منه
حاجه .

قلت بنفاز صبر :

- يا الله .

نظرت لى نظرة غاضبة ، تناولت يدها
وقبلتها ..

- سامحيني والله مقصدش .. حضرتك أنا
مقبلش المساعدة وكرمان أنا والله معايا
فلوس تكفينى مدة كبيرة .. بشتغل لإنى
مبروحش المدرسة وعندى وقت كبير
ومحتاجه أوفر فلوس علشان الجامعة .
- إوعدينى لو احتجتى حاجه تطليها .

تنفست الصعداء وقلت :

- الحمد لله .. - وقفت وقلت - لازم أروح
أذاكر .

وقفت أيضاً وضمتنى إلى صدرها بحنان
وحب:

- خدى حسين يوصلك .

- حاضر .

- فاطمة حطت لك فى العربية طبق فاكهة
.. ودى هدية من الجنينة بتاعتنا .

أصدرت همهمة متذمرة .. نظرت لى
وقالت :

- إنتِ مش معقولة أبداً يا ياسمين دى فاكهة
من الجنينة .

قبلت خدها وقلت :

- حاضر مش هزعلك .

كان عم حسين فى أنتظارى ، ركبت
السيارة وعندما ترجلت أمام البيت فوجئت
به يفتح حقيبة السيارة وينزل منها أربعة
أقفاص مملوءة بالفاكهة .

عضضت شفتى فى محاولة لكبح غضبى ثم
أطلقت زفرة .. فى البيت قمت بتقسيم
الفاكهة على عشرين كيس ووضعت طبق
مملوء بالفاكهة فى الثلاجة ووزعت الباقي
على أمى وخالاتى ومجموعة من جيرانا
الفقراء .

فى مساء اليوم التالى ركبت السيارة بجوار
عم حسين كنت .. متشاقة كثيراً لرؤية
عادل والأطمئنان على أخباره .

وجدت عادل ينتظرنى أمام الباب .. قال
بشوق :

- كنت قلقان عليكِ .

غمرت الحرارة وجهى ونظرت له قائلة :

- إنتَ اللي كنت مسافر .

- لكن أنا كنت سايبك لوحداك .. إحكى لى
عملتى إيه فى الساعتين بتوعى .

إبتسمت قائلة :

- جيت هنا .

- عارف وقعدتوا تنموا عليه إنتِ وماما .

- لا كانت بتتكلم عنى أنا .. خايفه عليا قوى

قال بحزن

- طيب طمنيتها .

- أنا كدا دائماً يا عادل مصدر قلق وإزعاج
للجميع .

كان يقف بجانبى فنظر فى عيني ..

- متقوليش كدا ابدأ إنتِ مصدر سعادة لكل
اللى يعرفك .. ولأنهم بيحبوكى قوى ولإنك
غالية بيخافوا عليك .

كانت كلماته تنساب على قلبي فتزيد نبضاته

سرت بجانبه حتى دخلنا حجرة المكتب .. لم
نقابل أى شخص فى طريقنا . جلست على
أول مقعد وسألته بفضول :

- أخبار الفحوصات إيه ؟

كنت أشعر أنه لا يحب الخوض فى تلك
التفاصيل أو الحديث عنها ، لذا قال
باقتضاب :

- الحمد لله كل شئى مطمئن .

ثم ابتسم وقال :

- عاملة إيه فى المذاكرة .. لو محتاجه
أشرح لك حاجة أنا مستعد .

- إطمن الحمد لله أنا بذاكر كويس وباخذ
الكتب أذاكر فى الصيدلية لما مبيكونش فيها
زباين وطارق بييساعدنى .

ظهر الغضب على وجهه وقال :

- طارق ببذاكرلك .

قام فجأة وناولنى بعض الأوراق وقال :

- ممكن تكتبيها بخطك .

همست قائلة :

- حاضر .

جلس وقد حلت المعاناة محل الغضب على وجهه لم يتحدث معى ثانية حتى دخلت أمه فوجدتنى منهمة فى الكتابة ووجدته يجلس كتمثال من الشمع يحدق بى .

قالت بانزعاج :

- مالكوا فى حاجه ؟

قلت بتأنى :

- إزيك يا ماما يسرية .

إبتسمت لعادل لأحاول إخراجہ من حالة الضيق لكنه كان غاضباً جداً ، خرج وتركنى مع أمه التى قالت :

- عادل ماله ؟

حكيت لها ما حدث قالت بتفهم :

- آه هو طارق لمح لك بشيئ ؟

- يعنى إيه لمح لى بشيئ ؟

- يعنى بيحبك أو عايز يخطبك ؟

- لا طبعا يا ماما يسرية ولا حاجه من دى خالص انا لسه صغيرة قدامى ثانوى وجامعة مبفكرش فى الكلام ده خالص .

بعد ذلك الموقف تغيرت معاملة عادل لى أصبح يتجنب الحديث معى ، أشعر أحيانا أنه يريد قربى وأحيانا أشعر أنه يتمنى ألا أتى مرة أخرى . لا استطيع فهمه أبداً ولا فهم تعابير وجهه .

قلت له يوماً والدموع تتجمع في عيني :

- أستاذ عادل أنت غضبان منى من فترة
ومش قادرة أعرف إيه السبب .. لو مليت
منى أو مش عايزنى أجي تانى .

قال :

- إنتِ مجنونة ؟ أغضب منك ليه ؟

- إنتَ مش شايف تعبيرات وشك وإنتَ
بتقابلنى . ليه بدأت معاملتك تتغير .

- أنا مش غضبان منك أبداً أنا خايف أكون
بستغلك ، إنتِ إنسانه رقيقه وحساسه ،
وبرغم الرقة والعذوبة دى إنتِ شجاعة
ووثقة من نفسك .

ثم إقترب ونظر في عيني :

- أنا غضبان من نفسي لأنى أنانى وعاجز
لما بفكر فيكى بكره نفسي وبكره ضعفى ..
ضعفى ده اللى بيخللينى عايزك دايماً جنبى

أدركت أنه يعترف لى بحبه الآن دون أن
يقصد الإعراف بذلك .

بقيت هادئه ساكنه دموعى تنساب على
وجهى فقال :

- أنا أسف لأنى زعلتك .

إبتسم إبتسامه حزينة ..

لم نعد نتحدث بعدها فى أى شئى .. أصبح
عادل حريصاً على تواجد أمه معنا أو خاله
فؤاد دائماً

(١٦)

إقترب موعد إمتحان نهاية العام .. كثفت
من وقت المذاكرة ، كنت دائماً أذاكر حتى
فى الصيدلية ..

عندما ازور عادل أكون سعيدة ، لأنى أرسم
بمجرد حضورى البسمة والسعادة على وجه
عادل وبالتالي وجه كل من فى البيت ،

أردت أن أعتذر له عن مواصلة زيارتهم
اليومية حتى أتفرغ للمذاكرة لكنى لم استطع
من فرط رقتهم ومعاملتهم الكريمة .

قالت لى أمه يوماً :

- مش ممكن تتخيلى كم المسكنات اللى
عادل بيأخذها علشان يكون صافى الذهن
لما بتيجى عندنا .

كل ذلك جعلنى أجب من الإعتذار لهم
فقررت ان أخذ أجازة من الدكتور مجدى
الذى قال :

- موافق وهتكون مدفوعة الأجر لكن بعد ما
انتهى من الجرد السنوى للصيدلية .
فاتفقنا على ذلك .

اما الدكتور طارق فكان يساعدنى فى
المذاكرة ..

ذات يوم اعترف لى طارق بحبه .. لم
اعرف كيف أرد عليه ، فصمت لكنه
فاجأنى بقوله :

- لكن أنا فقير و انت فقيرة .. متعرفيش
أهلى عملوا إيه علشان اتعلم .
قلت :

- والحمد لله بقيت دكتور قد الدنيا .
قال :

- أنا طلعت من الفقر .. صحيح أنا بحبك
جداً بس هدور على واحده غنية اتجوزها ..
حقك على إني صارحتك بمشاعرى .

تركته وانصرفت حتى دون أى رد ، أعتقد
أنه لم يكن ينتظر منى أى رد .

حكيت لأمى وخالتى عندما جئن لزيارتي
ليلاً ، قلن هو لا يستحقك ، شعرت بتعاطف
أمى قلت لها :

- إطمنى محسيتش فى مره بحب من النوع
ده تجاهه أو تجاه أى شخص .

سألتنى قائلة :

- وعادل ؟

- حتى عادل نفسه أعتقد إن مشاعرى
تجاهه مجرد شفقة أو إعجاب به وبمثابرتة
.. لكنه مش حب .

غداً آخر يوم لى فى العمل .. معى مبلغ
بسيط وسأقبض راتب الشهر ، سيكون معى
مبلغ يكفينى حتى تنتهى إمتحاناتى ولا
أضطر لسحب أى نقود من دفتر التوفير قبل
عودتى للعمل إن شاء الله .

بعد خروج أمى وخالتى جلست أذاكر حتى
غلبنى النوم .

رأيتنى أسير فى غابة مملوءة بأشجار
خضراء ، ورأيت أمامى بعض الوحوش
تجلس بهدوء ، أدركت أننى كنت أحلم ، فقد
رأيت جدى ينظر لى مبتسماً .

حاولت تركه والسير فى إتجاه أقرب
الوحوش إلى لكن جدى كبلى وقال لى
أجرى من هنا ، رأيت طارق ينظر لى
بخوف ، ثم ظهر عادل كان جدى يكبلى
ليبعدنى عن الوحش ويدفع بى فى إتجاه
طارق .. لكن طارق ادار ظهره وانصرف
كان عادل ينادى علىّ :

- ياسمين تعالى هنا يا ياسمين . هجم الوحش
فوقى باسنانه الحادة المدببة فوقف عادل
بينى وبينه فصرخت بأعلى صوتى لا.....

.....

إستيقظت ريهام ابنة خالتى على صوت
صراخى فأحضرت لى الماء لأشرب وقالت
- أكيد ده كان كابوس .

كنت أتصيب عرقاً فمسحت لى وجهى
بمנדيل وجلست تقرأ لى بعض آيات الرقية
الشرعية وهى تمشط شعرى بأصابعها
الصغيرة حتى أهدئ وأعود للنوم ..
فتظاهرت بالنوم حتى تنام هى كانت طفلة
صغيرة لكنها حنونة كأماها.

كانت ترفض سماع كلامى عندما أطلب
منها النوم فى بيتهم وتصبر أن تأتى لتنام
معى ، فقد كانت تخاف على .

ظننت أن ما رأيته ليس كابوساً بل رؤية فقد
نمت على وضوء ، هي رسالة يحذرني فيها
جدي من شيء ما ترى من يكون الوحش
المتربق وممن سينقذني عادل بعد أن يتخلى
عني طارق ؟

أتعبنى التفكير .. إنتظمت أنفاس ريهام ثم
سمعت أذان الفجر فتوضأت وصليت .

ولم استطع العودة للنوم ثانيةً ولم استطع
التركيز في المذاكرة .. جهزت الإفطار
فإستيقظت ريهام وصلت وإرتدت ثياب
المدرسة ثم تناولنا الإفطار معاً .

كنت شاردة الفكر أفكر في الرؤية ، كانت
ريهام تحكى لى عن خناقة دارت بين
زميلاتنا فى المدرسة بالأمس لكننى لم
أستطع التركيز فيما تقول .. أعددت لها
ساندويتش وناولته لها ثم إرتديت ثيابى
وخرجت معها .. تركتني عند الصيدلية
لتكمل طريقها .

وقفت بجوار عم سيد وهو يفتح الباب
وألقيت عليه تحية الصباح فقال :

- يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم اصبحنا
وصبح الملك لله .

بعد إنتهاء الجرد عرفت فى هذا اليوم لماذا
كان عم سيد يعاملنى هكذا .

طلب منى الدكتور مجدى أن ادخل المعمل
لأنظفه قبل انصرافى .. بعد قليل فوجئت به
يدخل المعمل ويقف بالباب فقلت له مبتسمة

- قربت اخلص يا دكتور والمعمل بقي زى
الفل

قال لى :

- على اقل من مهلك .. أنا مشيتهم كلهم
وجاى أساعدك .

- تساعدنى فى إيه ؟

كان ينظر لى نظرات غريبة ، وعندما
إقترب منى محاولاً أن يلمس كتفى إبتعدت
عنه .

كان ما يريده واضحاً فى نظراته ، كيف
اتصرف مع هذا المجنون ، هل هذا تفسير
حلمى ؟ فلأستمع إذا إلى نصيحة جدى
وأهرب .

قلت له محاولة أن لا أبدو خائفة :

- إنتَ عاوز إيه يا دكتور ؟ إبعد عنى .

قال :

- عايزك إنتِ يا جميلة الجميلات .

واقترب أكثر .. فدفعته بعيداً عنى وخرجت
من المعمل . وجدت الصيدلية خالية ومغلقة
، أين ذهب طارق وعم سيد . كيف يتركنى
طارق ؟

حاولت فتح باب الصيدلية فوجدته قد أغلقه
من الداخل .. عندما خرج من المعمل
خلفى فكرت بسرعة ماذا أصنع .. شعرت
بجفاف حلقى ، كيف سأستطيع الصراخ ..
أمسكت زجاجة كبيرة وفكرت أن أضربه
بها على رأسه . قبل أن يستطيع الخوف أن
يشلنى .

ربما يموت ؟ داهمتنى موجة شديدة من
الألم اليأس . إقترب منى مبتسماً ..

عندما رأيت أسنانه تذكرت اسنان الذئب
التي رأيتها فى الحلم فضربته على رأسه
فسقط غارقاً فى دمائه .

وأخذت المفاتيح وحاولت أن أفتح الباب .
وجدت عم سيد يفتح الباب .

قال عم سيد :

- كنت عارف انه طمعان فيكى إتجننت
وجيت أنفذك لما طارق قالى إن إنت

والكلب لوحدكم فى الصيدلية .. يلا اخرجى
بسرعة ومترجعيش هنا تانى .

خرجت مسرعة وبالفعل كنت أنوى عدم
الرجوع .

عندما عدت إلى البيت كان الوقت ليلاً
جلست فى البيت أنتفض من الغضب هكذا
اصبحت مطمعاً للجميع لأننى فقيرة ووحيدة

ذهبت لأبى عندما فتح لى الباب . دخلت
وجلست بجانبه أبكى أردت أن أطلب منه
حمايتى .. تركنى وترك البيت كله وخرج
عندما جاءت زوجته من الخارج خرجت أنا
أيضا .

ذهبت لعم سيد معذرة ..

قلت له :

- ليه مقولتليش ؟

قال :

- كنت أتمنى إن ربنا يخلف ظني .

قلت له :

- أنا خائفة جداً .

قال :

- إطمني ميقدرش يعملك حاجة .

ثم إبتسم وقال :

- راسه اتخيبت عشر غرز .. بنت ابوكي
صحيح .. ولما حد ببسأله راسك مربوطة
ليه بيقول رف الأزايز وقع فوقه .

ناولني ظرفا وقال :

- خدى مرتبك بعتهولك وبيقولك شوفى لك
شغل تانى .

قلت له :

- أنا مش هاخذ حاجه .

قال :

- ده مرتبك .

أخذت المرتب منه فالله وحده يعلم كم كنت
احتاج له .. كنت أتمنى أن أجد شخصاً
لأحكي له .

قررت الذهاب إلى بيت عادل .. لم أكن
أثوى أن أحكى له أى شئى لكنى كنت أشعر
بالسعادة عندما أكون معه.

لم أذهب هناك ليلاً من قبل .. كان الطريق
خالياً من الناس فشعرت بالخوف .. بدأت
أجرى حتى وصلت للبيت .

عندما رأيت البوابة الخارجية للفيلا مغلقة
شعرت بالتردد وقررت العودة .. ماذا
سأقول له ؟ لا يجب أن أحكى ما حدث لأى
شخص .

الحمد لله أن الله أنجانى من مجدى وشره .
واستدرت لأعود من حيث جئت وبدأت

أجری مرة أخرى رأیت سياره تقف بجانبی
وسمعت صوته یقول :

- إركبى .

ركبت بجانبه فى المقعد الخلفى ثم انطلقت
بنا السياره متجههه إلى الفيلا .

شعرت بنظراته الحنونه تعانق وجهى

قال عادل:

- إيه المفاجأة الحلوة دى قلتى مش هتيجى
الليلة .

- حسيت إنى محتاجة أكون معاك .

دقق فى ملامحى فشعر بمعاناتى قال بلهفة :

- مالك يا ياسمين ؟

نظرت لوجهه الحنون وأنظرت حتى
عادت انفاسى تنتظم فلم أقل شيئاً .

فتحت البوابة ودخلت السيارة بهدوء
ووصلت لنهاية الحديقة .. نزلت من السيارة
وساعدته على النزول .

رأى دموعى قال :

- مالك اتكلمى ؟

دخلنا الفيلا وجلسنا .. سألتنى ..

حكيت له كل شئ .. كان تعبير وجهه وهو
يستمع إلى غاضباً جداً . بدأ يفك الكرافته
والزرار العلوى فى قميصه وكأنه يشعر
بالإختناق

سألته بحذر :

- إنتَ كويس ؟

قال بصوت خشن :

- لا .

جلست صامته أراقب وجهه .. كانت عيناه
غاضبتان وكان ينظر إلى الفراغ .

ثم نظر ناحيتي قائلاً :

- إنتِ كويسة .

قلت بهدوء :

- أنا الحمد لله كويسة كنت خايفة يكون مات
لكنه طلع عايش

وحكيت له ما قاله عم سيد .

قال :

- ياريتك كنت خلصتى عليه الكلب الحقير

ده .

كان صوته غاضباً متوتراً .

لم أكن أعلم أن أمه تسمعنا إلا عندما جاءت

وقالت :

- إهدى يا عادل .

نظرت لها فقالت :

- أنا بدون قصد سمعت كل حاجه .

- أهدى إزاي يا أمى أنا هروح اقتله .

ثم أشاح بوجهه محاولاً السيطرة على
غضبه .

- لكن والله لو قابلته فى أى مكان لأقتله ..
أنا كنت حاسس أنه ندل وحقير .

ظللت صامته .. لم أجد أى كلمة أرد بها
على ثورته هذه . كنت أشعر بحبه لكن لم
أكن أعلم أنه يحبني بهذه الدرجة .

قالت أمه :

- متخافيش من حاجه يا بنتى أنا هروح
أخطبك لعادل وهتبقى معانا على طول
وهعتبرك بنتى اللى مخلفتهاش .

قال عادل بصوت منخفض لكنه أمر :

- أمى .

لم تنتبه إلى لهجته الأمرة أو ربما أنتبهت
لكنها تجاهلتها وأكملت :

- عادل خايف يظلمك بزواجه منك .

شعرت بأنه يتألم لكنه رفع صوته مرة
أخرى وقال :

- أمى .

كانت نظرته مثبتة على وجهى

فأكملت امه قائلة :

- لكن انتم الأثنين هتأخذوا بالكوا من بعض

قال عادل بصوت متوتر خزين :

- أمى من فضلك .

حاولت التغلب على خجلى وإضطرابى ..

هذه السيدة تخطبنى لإبنها الآن وأنا لا أريد

أن أكون فى أى مكان إلا معه .

نظرت فى الأرض قائلة بصوت هامس :

- أنا مبحسش بالراحة والأمان إلا هنا
معاكوا.

إبتسمت بسعادة .

ثم تركتنا قائلة :

- هخليهم يعملوا لكم حاجه تاكلوها.

وقفت قائلة :

- أنا إتأخرت .. بنت خالتى هتيجى البيت
مش هتلاقينى .

- إتعشى معنا شالك مكاتيش .. وأنا
هو صالك أنا وفؤاد وهنطلبك من والدك
لعدال .

ثم تركتنا وخرجت .

نظرت إلى وجه عادل بخجل فوجدته عابساً
.. حاولت انتزاعه من تلك الأفكار التي
تضايقه .

قلت :

- عادل ؟

- نعم ؟

- إنت زعلان منى ؟

نظر لى بحب فكانت عيناه دافئتان لكنى
شعرت أنه ممزق بين إختيارين .

قال :

- أنا خايف من زمان أصارك بحبي
فأخسرك ، إنت متعرفيش إنت إيه بالنسبة
لى يا ياسمين ؟

ثم أكمل قائلاً :

- أظن إنى معنديش خيار دلوقتى .

تشجعت ومددت يدي لألمس يده وقلت
بصوت ينضح شكراً و عرفاناً :
- شكراً لك .

رق وجهه وقال :

- شكراً على إيه ؟

قلت :

- لإنك بتحبنى .

حكيت له أثناء العشاء الحلم وكيف دفعتني
جدي إليه .

سألني :

- يعنى جدك الله يرحمه موافق على جوازنا
؟

حركت رأسي بالإيجاب ..

- كده يبقى ميهمنيش موافقة أى حد تانى .

تعجبت من الإبتسامة الإرادية التي
ارتسمت على وجهي .

قال :

- تعرفى إنى يوم الحادثة فكرت إن عمرى
انتهى .. لكن إتضح إن فى لسه باقى ..
أتمنى أعيشها معاكى . أنا لسه عايش بسببك
إنى .

إبتسمت وقلت :

- أنا إتأخرت وإنى لازم ترتاح .

نظر إلى طبقى المملوء بالطعام وقال :

- لازم تخلصى طبقك .

كان ينظر لى وأنا أتناول الطعام لكنه كان
شارد الفكر وكأنه ينظر إلى المستقبل . كان
ساكناً جداً وكأنه تمثال .

سألته :

- مالك ؟

قال :

- خايف أكون هظلمك .

- تانى ؟

كان صوته هادئاً لكنه أكثر خشونه مازل
يعبر عن توتره ..

- يعنى انت موافقة وأهلك هيوافقوا ؟

قلت :

- المفروض إنى اتكسف وأتقل شوية .. لكن
فعلاً أنا موافقة وسعيدة .

دخلت ماما يسرية وقالت :

- أنا جاهزة وفؤاد فى البلد هيقابلنا فى بيت
والدك .

لم يرفع عيناه عنى وهى تتحدث ..

وقفت نظرت مبتسمة إلى عادل ثم خرجت معها سار معنا حتى ركبنا السيارة .

كان الطقس جميلاً شعرت بالراحة الآن .
كانت ماما يسرية تكاد تطير من السعادة .

أوصلتني السيارة حتى بيت جدي ثم ذهبت إلى بيت أبي لتطلبني منه .. دخلت البيت وقمت بتغيير ثيابي ثم توضأت .. سمعت صوت طرقات عالية على الباب فوجئت بأمي تفتح الباب بمفتاحها كانت أُمى قلقة ..

قالت :

- إنتِ كنتِ فين يا ياسمين ريهام جت ملقيتكيش يابنتى .

- أقعدى يا ماما هصلى وأحكى لك .

جلست أُمى وقبل ان انهى صلاتى طُرق الباب مرة أخرى كان القادم أُمى .. نسي أُمى أنني منذ ثلاث ساعات فقط دخلت بيته

وأنا منهارة لكنه لم يهتم بي .. الآن جاء
والسعادة ظاهرة على وجهه .

جلس أبي ليحكى لنا كيف جاءت يسرية
هانم إلى بيته لتطلبني لعادل .. جلست هادئة
.. كنت أشعر بصداع وكانت أفكارى
مشوشة لكنى كنت هادئة مطمئنة . كانت
يდაى معقودتان فى حضنى . إستندت
بضعف إلى الكرسي أنظر إلى وجه أبي
المبتسم ، كانت إبتسامته قد كشكشت زوايا
عينيهِ السوداءوين .

فهمت سبب سعادته .. عادل ثرى ربما
يكون أغنى شاب فى بلدتنا والبلاد المجاورة
.. نظرت له أُمى بغضب .. فمسك منديله
ليمسح عرقاً وهمياً عن جبينه الذى أحتل
مساحة كبيرة من الجلد اللامع بعد تراجع
شعره الأسود إلى الخلف .

وقالت أُمى بحدة :

- إنتَ إتجننت .. عادل مين ؟

- عادل حجازى ابن الست يسرية .
- لكن ده مريض ده محتاج ممرضة .
بدأ يرد عليها بغضب فرفعت صوتها ..
ابتسمت فى سري أول مرة فى عمرى
أراهما معاً يجلسان معاً ويتحدثان معاً
ليقرران مصيرى الذى تخليا عنه معاً
بإرادتهما .. طيلة عمرى .

ما زاد الطين بلة هو دخول نعمان رافعاً
صوته قائلاً :

- الله الله إيه اللى بيحصل هنا ده ؟
قالت أمى بسرعة :

- ياسمين جاى لها عريس .
- عريس مين ؟

قالت :

- عادل حجازى .

قال بجشع :

- ما شاء الله طول عمرك مُرزقه .

نظرت له أُمى قائلة بغضب :

- أنا لا يمكن أوافق على الجواز دى .

بدأ صوتهم يملأ رأسي بصداع شديد ..
صرخت فى وجوههم

- لكنى موافقة هتجوز عادل بعد الإمتحانات
ارتحتوا .

ثم تركتهم ودخلت حجرتى .. دخلت أُمى
خلفى قائلة :

- يا بنتى ده عايز ممرضة .

قلت بضعف بعد أن جلست على الفراش ..

- يا أُمى يقدرُوا يجيبوا ألف ممرضة ..
عادل عايز زوجة .. عادل بيحبنى وبيخاف
عليا .. عادل محتاجنى وأنا بحبه ومحتاجه

له .. تعبت من العيشة لوحدى فى الدنيا ..
تعبت إنى ميكونلش ضهر .

وقف أبى بباب الغرفة معطياً ظهره لنعمان
. نظرت لأبى قائلة :

- عرفت أنا جيت لك ليه النهاردة .. جيت
علشان كنت محتاجه لك أتحامى بيك ..
جيت لأن دكتور مجدى حبسنى فى
الصيدلية وكان عايز يغتصبنى .. بس انا
ضربته على راسه وهربت .. أبويا عمل إيه
بقا .. قال بنتى ماتت .

خفض أبى وجهه حياء فابتسم نعمان
بشماتة.

قالت أمى :

- إنتى هتكملى تعليمك وبلاش شغل خالص
وأنا هبعث لك أكلك وباقى المصاريف ..
هدبرها .

- منين يا أمى ؟

أخرجت كيس الطعام وناولته لها ..

- الكيس ده انتى بعت لى فيه أكل .. شايفة
نعمان كاتب عليه إيه ؟

قرأ أبى الكلمة بصوت مرتفع :

"بالسم الهارى" نعمان !!

عضت أمى شفتها وقالت :

- علشان كدا رفضتى تاخدى أكل منى تانى
؟

إبتعد نعمان عن الباب وخرج فأكملت :

- انا لوحدى فى الدنيا .. محتاجة اشتغل
ومحتاجه حماية .

قال أبى :

- هبلغهم بموافقتك .

فنظرت له بغضب وقالت :

- هما عارفين إنى موافقة .

فابتسم وقال بخجل :

- ربنا يسعدك يا بنتى ويتم لك بخير ..

هنقرا الفاتحة بكره بعد العصر .

خرج أبى ثم لحقته أمى .. ناديتها قائلة :

- ممكن تيجى إنتى وخالاتى بكرا من بدرى

علشان ننصف البيت .

قالت أمى :

- هعدى عليهم وأنا مروحة أعرفهم .

تعجبت من فرحة نعمان الشديدة فقد بارك

لى أكثر من خمس مرات قبل رحيلهم .

بمجرد أن وضعت رأسي على المخدة

غرقت فى النوم .

استيقظت فى وقت متأخر ، أيقظتنى خالاتى

مها وسوسن .. وجدتهم مستعدين لتنظيف

البيت ، جاءت بعض الجارات لمساعدتهم ..
دخلت خلفهم فوجدت أمى تنادى قائلة :

- لآ أنت عروسة هتقعدى معايا علشان
أظبط لك فستان من دول على مقاسك .

كانت تحمل مجموعه من الملابس على
ذراعها . قبل أن أردد رأيت سنية تدخل من
الباب وقد وضعت يدها على فمها إستعداداً
لإطلاق زغرودة وتحمل بيدها سلة مملوءة
بزجاجات الشرابات وأكياس السكر ثم بدأت
تقبل الموجودات جميعاً ولم تجرؤ أن تقترب
منى .

تركهم يتحدثون ودخلت حجرتى ، فتحت
الحقيبة التى عدت بها من المدرسة
وأخرجت الثوب الذى أهدتنى إياه إيمان
صديقتى كان صدره من الدانتيل الكحلى
المزين باللؤلؤ والجزء الأسفل كان من
الأورجانزا الكحلى أيضاً . إرتديته فوجدته لا
يزال يناسب مقاسى . ثم خلعته وعلقته على

الشماعة وأخرجت حذاءه وعلبة الماكياج
وبعض الأكسسوارات ..

كانت تلك مجموعة الهدايا التي أهدتني إياها
صديقاتي عند مغادرتي المدرسه صففتها
على المائدة .. دخلت أمى وعندما رأت هذه
الأشياء الجميلة قالت بفرحة :

- هو عادل بعث لك الحاجات دى ؟

أخبرتها قصة تلك الهدايا وتركتها ودخلت
الحمام .. عندما خرجت وجدت مس دوللى
فى إنتظارى .. رحبت بها فقالت إن عادل
عندها بالبيت وأرسلها لتسألنى إن كنت قد
غيرت رأى فأخبرتها أننى متمسكة به .

قالت :

- عادل حساس جداً يا ياسمين وهو يبحبك
من يوم ما شافك فى فرحى ، لكن موضوع

..

ثم أكملت بخجل ..

- زى ما تحبى أروح أشوف ياسمين
الصغيرة وألف مبروك مرة تانيه .

- الله يبارك فيكى يا مس وشكراً إنك
سميتها ياسمين .

- إنتِ بتهزرى ده عادل اللى مسميها
ومكناش نقدر نرفض .

تركنتى وحدى .. كان صوت التنفيذ
والخطب يصم أذنى حاولت أن أذاكر فلم
استطع باقى عشرون يوماً على إمتحان
نهاية العام ولم يعد لدى وقت .

خرجت لأجدهن تثرثن وكلهن حماسة ..
كنت أشعر بالسعادة والبهجة تغمرانى
فإنضمت إليهن فواصلن التحدث عن
ذكريات أفراحهن ولم يستطع أحد مقاطعة
خالتى مها وهى تحكى .

كم كنت اشتاق لرؤية وجه عادل وإبتسامته
الحنون .. ظننت أن سنية قد رحلت لكنى
رأيتها تجلس منزوية فى أحد الأركان .

بعد أن إطمأنت خالاتى على نظافة البيت
عدن إلى منازلهن .. وجدت أمى تحمل لى
صينية مملوءة بالطعام قالت :

- أنا دخلت المطبخ وطبخت لك الأكل اللى
بتحبيه . لازم تتغدى كويس علشان وشك
ينور .

قلت لها :

- بس بشرط تاكلى معايا .

جلست لتأكل معى لكنها كانت تطعمنى
بيدها بدلاً من أن تأكل

كانت سعادتى كبيرة فإلتهمت الطعام وقبلت
يدها .. تركتنى أكمل أكلى وقالت :

- لازم أروح أغدى أخواتك .. بعد ما
تصلى العصر إبدأى إليسى .. هما بيّفكروا
يلبسوا الشبكة ويكتبوا الكتاب .

- ليه ده كله يا ماما ؟ ميخلوها واحده واحده
.

إبتسمت وهى ترتدى طرحتها أمام المرآة
وقالت :

- عريسك مستعجل وبعدين إنتم تعرفوا
بعض كويس .

- شكلك غيرتى رأيك يا أمى .

- كل اللى يهمنى سعادتك .. يلا هتأخر على
أخواتك .

بعد أن صليت العصر لبست الثوب الكحلى
. جاءت مس دوللى وقد أحضرت لى
طرحه تناسب الفستان مزينة بفصوص من
اللؤلؤ ساعدتنى على ارتدائها .

بعد قليل سمعنا من يقول :

- جاء العريس يلا يا ياسمين .

خرجت برفقت أمى ومس دوللى .. كانت
خالاتى تسيران خلفى ، كان شعورى
بالخجل يسيطر على .

دخلت حجرة الجلوس فوجدتها فارغة سرت
رجفة من الرعب فى معدتى قالت أمى :

- مالك الرجالة قاعدين فى المضيضة الكبيرة
والستات هيقدوا هنا .

أصابتنى خيبة أمل كبيرة . لم أحاول
التظاهر بالخجل فهمست فى اذن مس دوللى
- لكن أنا عايزة أقعد مع عادل .

إبتسمت قائلة :

- بعد كتب الكتاب هيجى يلبسك الشبكة .

- هما برضة هيكتبوا الكتاب الليلة ؟

قالت بقلق :

- أيوه انت عندك رأى تانى ؟

- لا مقصدش حاجه .

- عادل اللى طلب كده علشان تعرفوا تقعدوا
وتتكلموا مع بعض براحتكوا .

جاءت ماما يسرية فوقف الجميع ليسلمن
عليها قبلت مس دوللى يدها وعندما وصلت
عندى إحتضنتنى قبلت يدها أيضاً كانت
السعادة بادية على وجهها .. أبقتنى فى
حضانها طويلاً .. كان حضانها حنوناً تمنيت
ألا أخرج منه أبداً . جلست بجانبى وقالت
بتفاخر :

- عادل وافق على كل طلبات أهلك يا
ياسمين ولو طلبوا قد كدا عشر مرات كان
هيوافق .

وقفت فجأة وقلت بحدة :

- طلبات إيه ؟ أنا مش علوزة حاجه ؟

قالت :

- أقعدى يا حبيبتى ده حقك .

إلتفت إلى أمى وقلت بغضب :

- حق إيه فهمونى ؟

نظرت لى أمى بعتاب وقالت :

- مهرك وشبكتك ومؤخرك يا ياسمين زى
كل البنات يا حبيبتى . إنت مالكىش تتكلمى
فى كدا .

قالت ماما يسرية :

- والدك قال المهر والشبكة خمسين ألف
جنية عادل قال مية ألف هيتحطوا فى البنك
باسم ياسمين واحنا اللى هنفرش البيت
وشبكتك سوليتير فى جيب عادل .

قلت :

- ليه كل ده يا حبيبتي والله أنا مش عاوزة
حاجه .

قالت أمى :

- كل واحد بيهادى بمقامه و عادل مقامه
كبير .

وافقتها ماما يسرية بإشارة من رأسها وقالت

- وكله من غلاوتك عندنا وحبنا ليكى ..

ومن غير ما يطلب احنا كنا مقربين ده كله

تملكنى الغضب فبكيت بحرقة وقلت :

- لكن مينطلبش .. أبويا مكانش يطلب .. لما

تكون قيمتى بنتقدر بالفلوس .. كده هو

بيرخصنى قوى .

بعد قليل جاء زوج خالتى ليسألنى عن

وكيلى تمنيت أن يكون أحد أحوالى موجودا

ليكون وكيلى بدلا من أبى لكننى قلت بغیظ

- بابا .

جاء من يخبرنا ان الكتاب قد كتب وأن
العريس قادم .. خرجت الفتيات الصغيرات
لإستقباله .. تمنيت ألا يحدثن فيه لأنه
حساس جداً .

دخل مستندا على عصاه يتبعه دكتور
مصطفى وبعض أصدقائه .. كان وسيما في
بدلته الزرقاء وقميصه الأبيض الموشي
بخيوط فضيه والبايبنوه الحمراء المعقودة
بعناية .. وقفت لإستقباله فأقترب منى مد
يده لمصافحتي وجلس بجانبى بهدوء وهو
ممسكاً بيدي .

كان أنيقا في حركاته ونظراته وكلماته
الحنونه .

قال دكتور مصطفى :

- الف مبروك .. فى بلاد الفرنجة يقولوا
نعلنكما الآن زوجا وزوجة الف مبروك إنتم
الآن زوجاً وزوجة .

أطلقت سنية مجموعة كبيرة من الزغاريط
الطويلة .

همس عادل فى أذنى :

- نفسي أخطفك ونطير من هنا .

ابتسمت ولم أرد .. ولكنى رمقته بنظرات
كانت تحمل كثيرا مما يفيض به قلبي من
حب وحنان .

- إيه هتفضلى ساكته كدا .. تعرفى اللون
الكحلى ده جميل عليكى .

إحمر وجهى خجلاً وأيضاً لم أرد .. فمال
على أمى وقال :

- هى ياسمين هتفضل ساكتة كدا كثير .

الغريب أن لسانى قد ظل معقودا وشفتى قد
ظلتا مقفلتين ولم أستطع أن أقول له ما
أدرته فى رأسى من ألفاظ حلوة وعبارات
تجعله لا يشعر بالذنب الذى اعتاد الشعور

به نحوى أردت أن أعبّر له عن حبي
وسعادتى .ولكن عيونه وفرحتى أنستنى
كل شئ ولم أجد فى نفسي شئ ولم أستطع
أن أحرك لسانى لينطق بحرف .

رفعت ماما يسرية صوتها وقالت :

- إن شاء الله الفرح هيكون ليلة من ألف ليلة
وليلة هعمل لكم فرح متعملش لحد قبل كدا .

قال عادل وهو ينظر لى مماًزحاً :

- فى واحده بس نفسي اسمعها تغنى يا أمى

- هى مين ؟

- نفسي ياسمين تغنى .

إبتسمت وقالت :

- مفيش عروسة بتغنى يوم فرحها .

- بس أنا هخليها تغنى يوم فرحنا .. بس ليا

لوحدى - وأكمل بتساؤل - موافقة ؟

ثم استدار ونظر إلى فاستولت عيناه
العسليتين على تماماً .. ظللت أنظر إلى
وجهه وقلت بهمس :

- موافقة .

كانت يده لا تزال ممسكة بيدي .. لاحظت
أنهم يضعون أطباق من الجاتوه وزجاجات
المياه الغازية على المنضدة أمامنا ثم
وضعت تورتة في المنتصف .

نظرت إلى أمي فهمست في أذني :

- الجماعة جابوا معاهم الحاجات دي كلها
وجابوا لك هدايا كتير حطيتها كلها في
أوضة جدتك وقلت الباب بالمفتاح .

ناولتني خالتي طبق وقالت :

- ليكي أنت والعريس .

أمسكت الطبق بيدي وبدأ عادل يطعمني ثم
بدأت أطعمه تبعاً لإرشادات خالتي .

ثم أخرج من جيبه علبة من القطيفة الحمراء
وألبنى خاتم من السوليتير وعلبه ثانياً بها
كوليبه وحلق واسورة من البلاتين المطعم
بفضوص من الأحجار الكريمة شهقت سنية
عندما رأت الشبكة .. كانت عيناها تكادان
تخرجان من محجريهما .. ثم رمقتى بنظرة
محملة بالحسد .

بعد أن ألبنى الشبكة خرجوا من الحجرة
وتركونا بمفردنا .

قال عادل :

- هتفضلى مكسوفة .

وقف ليخلع الجاكيت وقام بوضعه على
مقعد بجانبنا ثم جلس على مقربة شديدة منى
وأمسك خصلة من شعري خرجت من
الحجاب وأعادها إلى داخل الطرحة وهو
ينظر فى عيني .. ففقر قلبي من مكانه ..
شعر بي فقال :

- اهدى .

قلت :

- أول مره حد يقرب منى كدا .

ابتسم ابتسامته التى أعشقها وقبلنى على
خدى ثم أمسك يدى قائلاً :

- هشوفك بكره ولا محتاجة تنفرغى
للمذاكرة .

لم استطع إلتقاط أنفاسي بالسرعة الكافية
حتى أرد على سؤاله .

دخلت والدته فشعرت بالخجل .. كان وجهى
محمراً وكنت مرتبكة .

قالت :

- إحنا هنمشي يا ياسمين .. عادل لو عايز
تقعد السواق هيستناك فى العربية برا .

قال عادل :

- لا أنا هاجى معاكم لو فضلت هنا كلهم
هيفضلوا قاعدين وياسمين عندها مذاكرة .

إحتضنتنى وقالت :

- هستناك برا .

- أجي لك بكره ؟

هزرت رأسي موافقه ..

- ممكن تقضي لى نفسك كل ليلة ساعة
واحدة من سبعة ل ثمانية بالليل ؟

فهزرت رأسي موافقة .. فبدأ يبحث فى
أركان الحجره فقلت

- بتدور على إيه ؟

قال مماًزحاً :

- على القطة إالى أكلت لسانك . أنا فعلاً
مش عايز أمشي .. لكن لما بكون معاكى
بعانى من مشكلة ضبط أفكارى ، أولاً

جمالک ال رھیب ده کلہ وصوتک الی بعشقه
وکمان بقیتی زوجتی .. بسأل نفسي دایماً یا
تری إنت بتحبینی .

خفضت وجهی وقلت :

- بحبك جداً وأكثر مما بتحبنی .

تنهدت وزاد إحمراری وإضطرابی فضمنی
إلی صدره .. شعرت بالدوار عندما فتح
ذراعیه كدت أسقط أرضاً .. ضمنی مرة
أخری كان خجلی أقوى من سروری وأنا
بین ذراعیه .

همس فی أذنی :

- نامی کویس .. أوعدینی تخلی بالك من
نفسك .

قلت :

- أوعدك .

ثم تناول الجاکیت وخرج مسرعاً .

خلوت إلى نفسي بعد رحيله فجعلت
أستعرض ما كان من الأمر وأستحضره
ليجلس بجانبى ويعيد على كل كلمة وكل
نظرة لم أعد وحيدة بعد الآن فبعد أيام قليلة
لن يأوى كل منا إلى عالمه المنفرد وسأترك
هذا البيت الحزين وهذه الجدران الصامتة

فتحت النافذة وجعلت استنشق الهواء لا
يزال الهواء معبقاً برائحته ولا تزال يدي
تشعر بلمسة يده ولا تزال تتردد فى أذنى
همساته ولم تطل خلوتى إلى نفسي فهامى
ريهام تقبل على وتمسك يدي بحنو وإشفاق
وتسحبني من يدي ثم تضعنى فى الفراش
وكانها أمى ثم تنام بجانبى فأداعب وجنتيها
بيدى فتبتسم لى ابتسامة محببة وتعطينى
ظهرها وتعود للنوم

لم أذهب لفيلا عادل مرة أخرى إلا يوم
زفافي .. كان هو يزورنى كل ليلة نجلس
معاً فى المضيئة القديمة .

كانت حماتى تشرف على إستعدادات الزفاف .. قامت بتجهيز جناح خاص بنا فى الفيلا .. أحضر لى عادل الكاتلوجات فقمنا معاً بإختيار جميع المفروشات .

أرسلت لى حماتى سيدة تعمل فى تصميم الملابس ومعها مجموعة من الكاتلوجات .. أصبح لدى الآن ثياباً كثيرة وأحذية وحقائب . فى بيتى الجديد سيكون لى حجرة خاصة بالملابس وحجرة مكتبة وبيانو كبير أبيض اللون اشتراه عادل لى ..

عندما سألتنى :

- نفسك مين يحضر فرحنا ؟

قلت بسرعة :

- جدتى وخیلانى وزميلاتى فى مدرسة المعادى وخصوصا إيمان .

- عايزة تورتة كام دور و فستان من تصميم مین ؟

- إيه الكلام ده يا عادل .. إنتَ عارف أنا
مبيهمنيش الكلام ده .. لكن إستنى انتم طبعاً
هتعملوا أكل كثير ؟

- أكيد طبعاً .

- طيب ممكن أطلب حاجه أهم عندى من
أى شىء تانى ؟

- أنا النهارده جاى أعرف كل طلباتك .

شعرت بفرحة كبيرة حين قال ذلك فقلت
بحماس :

- عاوزة سفرة كبيرة تتعمل فى الجنية ياكل
عليها كل الناس الفقرا اللي فى البلد وياكلوا
من نفس الأصناف اللي هياكلها باقى
المعازيم .

شرد قليلاً ثم قال :

- عرفتى أنا ليه بحبك قوى .. علشان
أنسانيتك دى .. طيب قولى نفسك فى إيه
كمان ؟

- امممم نفسي تحكى لى كل شىء عنك ..
والدك فين ؟ ولية محضرش الخطوبة ؟
وفين اخوك الكبير ؟

قال بهدوء :

- أنا تقريبا علاقتى بوالدى نفس علاقتك
بوالدك قربنا من بعض نادر جداً .. خالى
فؤاد كان دائماً أقرب لى منه .. التوتر اللي
حصل بينه وبين والدتى أفسد العلاقة بينى
وبينه .

- وخالد ؟

- كمان خالد معرفتوش ولا إتربيننا مع
بعض كأخوان .. هو أكبر منى بسنتين بس
كان عايش مع والدته طول عمره فى
القاهرة ..

قبل ما يتخرج والدته اتوفت ، خلص سنة
الإمتياز وسافر بعثة لندن ومرجعش ..
إتجوز هناك من سنة وعاش وقرر
ميرجعش هنا ، لكنه رجع لما عملت
الحادثة بتاعتي وجاب لى دكتور من
أساتذته فى لندن عمل لى العمليه .. تقريباً
انقذ حياتى وإيدى ورجلى من البتر .
كان صوته يحمل مقداراً كبيراً من الإمتنان
لخالد .

- تعرفى .. أكثر شئى بيجمعنى بخالد حبنا
للشعر .. انا باكتبه وهو يتذوقه .

ضحكت وقلت :

- وأنا بغنيه .

نظر لى بحب وقال :

- أنا بحب صوتك جداً .

- مع إنك مسمعتوش إلا مرة واحده .

- مين قالك كدا انا بسمعه كل يوم .. بقالى
سنتين مبنامش إلا على صوتك .

ضحت وقالت :

- والله .. وبتسمعه فين ؟

قال :

- من شريط الفيديو بتاع فرح مصطفى
ودولت .. عملت منه نسخه وبسمع التلات
اغنى اللى غنتيهم .

- آه .. طيب ممكن اشوف الشريط ده .

- هتشوفيه فى بيتنا وهنسجل شرايط كتير
تانية ، لكن لو حبيبتى تغنى لى أغنية هتغنى
إيه ؟

- اغنى اغنية قديمة لسعاد محمد اسمها
قاسيت .

- ممكن تسمعيهاالى .

بدأت أغنى وإنهمرت دموعى وأنا أقول "
 قاسيت ولا حد قاسي قد ما قاسيت لكن
 نسيت ما جرا لى لما أنا حبيت "

بعد انتهاء الأغنية مسح عادل دموعى بيده
 وقال :

- اتمنى مشوفش دموعك تانى ابدأ . تعرفى
 اجمل شيى فى البيت ده ايه ؟
 - ايه ؟

- شجر الياسمين اللى قدام الباب .

ابتسمت وقد عادت بى الذاكرة للماضي
 وقلت :

- الياسمينات دول زرعهم جدى لما اتولدت
 .. بعت اشتراهم وزرعهم بايده قدام البيت
 وعمل حواليهم السور الحديد العالى ده ..
 كان بيسقيهم ويزودهم لحد ما بقوا ثلاثين
 شجرة . لما رجعت من القاهرة
 لقيتهم ماتوا ، حاولت أجددهم وأراعيهم

تانى والحمد لله فى ثلاث شجرات إستجابوا
للإهتمام .

- انا هغير من حبك لجدك يا ياسمين .

نزلت دموعى مرة اخرى فضمنى إلى
صدره

- إنت عارف أنا كنت بحبه قد إيه .

قال :

- البلاد كلها كانت بتحبه و عارف حبك ليه .
بس انا هحبك قوى وهاخد بالى منك زى
جدك .

ثم ابتسم وقال انتى :

- ممكن تقولى لى يا جدو لو حبيتى .. ها
هتعيطى تانى وانا موجود .

- لا ابدأ خلاص يا جدو .

إبتسم ودنا منى جداً وقال :

- كلها أسبوعين ونكون مع بعض دائماً
وميفرقناش إلا الموت إن شاء الله .

ارتعدت عندما سمعت كلمة الموت خفضت
وجهي فرفعه فأمسك ذقني في يده ورفع
وجهي لأنظر في عينه .. تلاقت أعيننا
واصل تحديقته في عيني فشعرت بسريران
شحنات كهربائية في البيت كله وتخدر خدى
تحت لمست يده .

كان يكتفي بقبلة حين يلقاني وقبلة حين
يودعني كل ليلة . في الصباح يأتي
ليصحبني إلى المدرسة وينتظرني حتى
أخرج من لجنة الإمتحان فيعود بي إلى
البيت

علمت انه يتمنى ان يقود السيارة بنفسه حتى
لا يلازمننا السائق دوماً .

قلت له :

- أنا بغير .

- من مين ؟

- من البنات اللى بيطلعوا يعكسوك يقولولى
خطيبك قمر .

- أنا اللى قمر برضه ولا انت ؟

ابتسم السائق فقال عادل :

- بص قدامك يا عم حسين ☹️

النهارده اخر يوم فى الإمتحان واللييلة ساعة
واحدة مش هتكفيننا .

إبتسمت وقلت :

- اللييلة بالذات مفيش ساعات البيت هيكون
مشغول .

- إزاي ؟

- إنت ناسي ان الفرحة بعد بكرة .. كلهم
جايين يجهزوا لى الحاجات بتاعة الفرحة .

- طيب ممكن تأجلوها لبكرة وتخليكي
معايا الليلة .

- بلاش دلع يا عادل بكرة هنكون مع بعض
دايماً وهنزهدق منى .

- إسحبي كلامك من فضلك عمرى ما
هزهدق منك أبداً .

عندما وصلنا البيت رأيت سيارة خالى
شكرى فعلمت انه جاء لحضور الفرح ومعه
جدتى وزوجته وأولاده فهللت بفرحة مثل
الأطفال ..

نزل عادل من السيارة فدخلنا معاً البيت ..
قابلنى خالى بحضن كبير ثم تركته وإرتميت
فى أحضان جدتى ..

إكتف هيلين زوجة خالى بالسلام باليد لكننى
قمت بتقبيلها وتقبيل أولادها ، كنت سعيدة
لأننى رأيت جدتى صحتها جيدة ووجهها

مشرق وقد أثرت هى فى طباع زوجة خالى
فأصبحت تحبها جداً وتناديها mum .

رحب الجميع بعادل عندما خرج سرت
معه حتى السيارة قال :

- كدا مش هشوفك إلا فى الفرح . إعملى
حسابك تحضرى الشنطة اللي هناخدنا
معانا وإحنا مسافرين لشهر العسل .

- مصمم برضه إننا نساقر .

- طبعاً .

- طيب والشنطة دى أحط فيها إيه ؟

- طقمين خروج بس والباقى كله لبس للبيت
لإننا مش هنخرج ابدأ . فى شنطة لونها
أحمر صغيرة دى لازم تحطيتها فى شنطة
السفر . أنا مختار كل قطعة فيها على زوقى

تصاعدت الدماء فى وجنتاى لأنى فتحت
هذه الحقيبة وأعلم ما بداخلها لقد خبأتها

تحت السرير فالملابس التي بداخلها أقل ما
يقال عنها أنها يعاقب عليها القانون .

قلت وقد احمر وجهى :

- طيب طالما مش هنخرج متخلينا هنا إيه
لزوم السفر .

قال :

- فى السفر سبع فوايد أهمها قضاء شهر
عسل بعيد عن الناس .

أدار السائق السيارة فركبها عادل وإنطلقوا
بعيداً وعدت إلى أحضان أهلى .. كان البيت
متألّقاً مشرقاً سعيداً بوجودهم جميعاً فيه .

مر اليوم التالى بأكمله فى تجهيز ثيابى
وملابسى وملاّ الحقائب بهم ، لم أتخيل يوماً
أننى سأمتلك كل هذه الملابس ولا أظن أننى
سأرتديها .. فقد كانت كلها من ماركات
مشهورة كل طقم له حقييته وحذاءه وحجابه

تعجبت خالتي سوسن من هيئتي وأنا أقلب
الثياب ، إبتسمت وقلت :
- ليه الهدوم دى كلها .

قالت :

- أيام جدك الله يرحمه محدش كان بيلبس
زيك .

- مبحبش البس ملابس ملفته .. بحب
البساطة .

- إنتِ داخله مرحلة جديدة فى مجتمع لازم
تلقى بيه وتشرفى جوزك وحماتك .

قالت زوجة خالى بلهجتها الغربية :

- هتهتاجى دريسنج روم .

قالت أمى :

- يعنى إيه ؟

قلت مبتسمة :

- يعنى حجرة ملابس خاصة ، حماتى
عملت حجرة ملابس فى شقتى .

كنت أشتاق للحديث مع جدتى والنوم فى
حضانها . عاد البيت كما كان أيام جدى
مملوء بالناس وبرائحة الطعام تخرج من
المطبخ .. وصخب الأطفال يملأ البيت
.وكانما كان البيت ميتا فعادت له الحياة
بعودة جدتى تذكرت أيام جدى عندما كانت
تملأ البيت بصوتها العذب ووجهها المشرق
ونشاطها العجيب ..

فى صباح يوم الزفاف أستيقظت مبتهجة
القلب راضية النفس ناعمة البال ابتسم
للنهار المشرق . حاولت اخفاء اضطرابي
وقلقتى كنت أخشى الدنيا وغدرها بى
..حاولت أن أنساها لعلها تنسانى بت الليلة
السابقة وأنا أفكر كيف استعد لغدر الأيام بى
حتى إذا جاءنى ما اعتدته منها كنت مستعدة
لإستقباله أعلم أن هذا أمر عسير .لكنى
قررت أن أنسى الهم والمرارة

جاءت سيارة بها أربع سيدات يعملن فى
مركز تجميل فى القاهرة قمن بتحويل حجرة
كاملة قريبة من الحمام لمركز تجميل .

تحولت إلى ضحية لا حول ولا قوة لى بين
إيديهن الماهرة المدربة من مفرق رأسى
حتى إخمص قدمى لم استطع التذمر أو
الأعترض .

ثم ألبسننى ثوب الزفاف المرصع
بالمجوهرات ووضعوا تاج مرصع مثله
فوق حجابى وألبسننى طرحة قصيرة من
الثلّ .. قمن بتركيب بعض فصوص
المجوهرات فوق أظافرى أيضاً .. حتى
الحذاء ثبتوا فوقه مجوهرات مقلدة لكنها
جميلة .

عندما وقفت أمام المرأة لم أتعرف على
نفسى لكننى صمت ولم أعترض فلم يعد
هناك وقت لتغيير أى شىء فقد وصل عادل

وهو ينتظرني فى السيارة أمام البيت الآن ..
كم كنت أشواق لرؤيته .

فتح باب الحجرة فخرجت للصلاة وجدت
جدتى وأمى وخالاتى وصديقاتى قد
إصطففن على الجانبين .

رأيت دموع الفرح تنزل من عيونهن ، تلك
العيون تحبنى وكم تعذبت وبكت من أجلى
.. فلماذا يبكين الآن أيضا ؟ تأثرت بروية
الفرحة على وجوههن وإبتسامة أمى
المطمئنة السعيدة برغم الدموع .

قالت مس دوللى :

- بلاش دموع المكياج يا ياسمين .

مسحت حافة عيني بسرعة .. نظرت إلى
يدى فلم أجد عليها سواد ، إبتسمت خبيرة
التجميل قائلة :

- كل العرايس بتبكى يوم فرحها .. فبدأنا
نستخدم مكياج مضاد للماء .

- يعنى أعيط براحتى ؟ ☺

فوجئت بإيمان صديقتى تندفع بسرعة
لتقبلنى ، كم كانت فرحتى عندما رأيت صفاً
من زميلاتى بمدرسة القاهرة وفى آخر
الصف مديرة المدرسة ومس عفاف
المشرفة .

قالت المديرة وهى تقبلنى :

- العريس أرسل لنا دعوة لحضور فرحك .
وبعدين أرسل لنا أتوبيس يحضرنا به من
القاهرة .

كانت مفاجأة جميلة .. لقد حقق لى عادل كل
أحلامى .

كانت فرحتى بعادل وإشتياقى له يفوق
الوصف . تحرك الجميع حتى أصبحت أمام
البيت فرأيت عادل يقف أمامى يحمل باقة
من الزهور مرتدياً بدله الزفاف السوداء ،
جرجرت قدمى لأصل عنده حتى لا يأتى

هو ويضطر لإستخدام العصا فأحببت ألا
أعرضه للإجراج .

فعلاً وصلت له بطريقة سريعة جعلتني
أشعر بالخجل .. سمعت الزغاريد .

كانت نظرات عينيه تزيدان خجلي ليته لم
ينظر لى بهذه الطريقة أمام الناس ..
ساعدنى فى ركوب السيارة وكان قد وضع
باقة ورد على ركن السيارة .

كان منتبهاً وهو يركب من الجهة الأخرى
لثوبى الذى إحتل ثلاثة أرباع المقعد .

ظالت صامتة والإبتسامة الخجلة مرسومة
على وجهى .. همس فى أذنى :

- أحبك كل شئى فىكى الليلة..... جداً .

نظرت له فقال عابثاً :

- جميلة جداً .. أنيقة جداً .. ساحرة جداً
ومكسوفة جداً .

خففت وجهى وبدأت أعبث بالزهور
فأيتسم .. إلتقت نظراتنا لحظة ، كانت
نظرات عينيه عميقة فتخيلت أننى أرى
روحه فيهما .

كان ينظر إلى وكأنى أجمل جائزة يمكن أن
يفوز بها إنسان برغم أننى أنا من فازت
بالجائزة .

عندما وصلت السيارة إلى القصر وقف
دكتور مصطفى بهدوء فنزل عادل ودار
حول السيارة ثم فتح لى الباب .. نزلت
محاولة المحافظة على ثوبي .

ساعدتنى صديقتى إيمان وزينب ثم سرن
خلفى .. امسك عادل يدي وقبلها ثم قال :

- مستعدة ؟

قلت :

- نعم .

سرنا مسافة قصيرة حتى وصلنا لصالة
البيت . قال عادل :

- بصى هناك ده مكان لأهل البلد كلهم جبت
لهم مطرب شعبي ومعمول لهم بوفيه نفس
البوفيه اللي هنا زى ما أمرتى يا مولاتى .

إبتسمت وضغطت على يده دون أن أتكلم ،
وصلنا للقاعة كان صوت الموسيقى مرتفعاً
عندما جلسنا لاحظت العيون التي كانت
تحقق بى فشعرت بتوهج وجهى .

قال عادل :

- على فكره انا لقيتها وجبتها معايا .

- هى إيه ؟

- القطة اللي كلت لسانك يا حبيبتى وهدبها
لك الليلة .. مش بيقولوا لكل عريس إنه
لازم يدبج لعروسته القطة .

قلت :

- ها ها ها .

- كده ؟ طيب .. هتشوفى .. واضح إنها لسه
سايبه حتة صغيرة .

جاء حجازى ليبارك لنا ، كانت أول مرة
أراه فيها طويل القامة أصلع الرأس ضيق
العينين بشرته بيضاء مشربة بحمره . لم
يكن يشبه عادل على الإطلاق .

قال لى :

- أهلا بمرات إبنى .. إنتِ جميلة جداً لكن
من الواضح إنك ذكية عرفتِ توصلى لقلب
عادل وأم عادل .

كانت كلماته تحمل الكثير من المعانى من
الواضح أنه ليس من السهل التعامل مع
ثعلب مثله .

إستمر الحفل حتى الصباح ،

تركنا المعازيم وصعدنا إلى حجرتنا لأن
عادل شعر بصداع

سهرت القرية كلها تلك الليلة خارج القصر
والشاعر الشعبي يحكى قصة سمير وسميرة
بطريقته الجذابة .. تحدثنا قليلاً ونمنا كثيراً
من التعب .

سافرنا عصر اليوم التالى لقضاء شهر
العسل فى الإسكندرية ، كانت الأسرة تمتلك
فيلا فى العجمى تطل مباشرة على البحر .
لكننا قضينا شهر العسل فى أحد الفنادق ..

كانت حماتى قد كتبت لى ورقة كبيرة بها
مواعيد أدوية عادل وفى الحقيقة كان عادل
ملتزماً جداً بمواعيد دواءه .. مريض مثالى
فلم يتعبنى أبداً

فقد كان حريصاً على الشفاء .

لم نغادر الفندق طيلة الشهر إلا لقضاء
بعض السهرات فى الخارج .. حضرنا

عرض مسرحية لفؤاد المهندس وشويكار
ودخلنا السينما لمشاهدة أكثر من فيلم .. لم
أكن قد دخلت السينما أو المسرح من قبل .

(١٧)

هل أنت سعيدة ؟

كان الجميع يسألوننى هذا السؤال ولا
أعرف حقاً هل أنا سعيدة أم لا ؟

كنت أحاول ان أسعد نفسي .. ولكن هل
يسعد قلباً إعتاد الحزن ؟

مر أجمل صيف قضيته فى حياتى لأننى
عشت فيه فى قلب عادل وماما يسرية ..
كانوا يعيشون حياة بسيطة .. لا يتعاملوا أبداً
بمنطق الثراء فالمال بالنسبة لهم وسيلة لا
غاية

كان بمقدورهم إستثمار المال أفضل من ذلك
. لكن المال آخر شئى يفكرون فيه .

اسيقظ من النوم كل ليلة وأنا أظن أننى أحلم
وأتوقع أننى بمجرد أن أفتح عينى سأجدنى

فى الحجره الصغیره فى بىء جدى لكنى
سرعان ما كنت أنتبه إلى رائحة عادل
الجميلة التى تملأ أنفى .

اليوم عيد مولدى .. أكملت السابعة عشرة ،

أعلم أن عادل ووالده يخططان لعمل
مفاجأة .. منذ إتصلت بى أمى لتطلب منى
زيارتها وقضاء اليوم عندها علمت أنها
مشتركة فى الخطة أيضاً .

فقد رحب عادل بذهابى إليها ثم إعتذر عن
مرافقتى ، ركبت السيارة مع عم حسين
وتوجهت لبيت أمى لأزورها لكنى لم أجدها
فى البيت قال زوجها :

- إيه الحكاية ؟ أمك راحت عندك .

أصبح نعمان يرحب بى ويسمح لأمى
بزيارتى . ركبت السيارة وقد إتضح
خيوط اللعبة فى وجهى قرروا إخراجى من
البيت بعض الوقت وعندما أعود أجدهم قد

حضروا المفاجأة كما يحدث فى الأفلام .
لكنى أردت أن أشاكسهم فلم أعد للبيت
مباشرة وطلبت من عم حسين أن يذهب بى
لزيارة خالتى سوسن .

و فعلاً ذهبت لها وجلست عندها بعض
الوقت ثم ذهبت لأحضر لهم مفاجأتى
الخاصة عدت للبيت فوجدت البيت معد
لأستقبلى ..

حجرة الإستقبال مملوءة بالورود والأشرطة
الملونة واللامعة والكثير من الشموع
والطاولة الكبيرة عليها الكثير والكثير من
الحلوى وتتوسط المائدة تورتة كبيرة .

لم أحتفل من قبل بعيد مولدى ولم أشعر
بالسعادة فيه أبداً لكنى فعلاً الآن سعيدة
وفرحة بهم .

فى البيت وقفت وقد ظهرت على وجهى
علامات المفاجأة .. دخلت ووقفت معهم
لأطفى الشمع وأستقبلت هداياهم .. كنت

أشعر ببعض الإرهاق شعرت ببعض الدوار
فتركت جسدى ينهار فوق أحد المقاعد .
إحتضننى عادل قائلاً بلهفة :

- مالك يا حبيبتي ؟

قالت ماما يسرية :

- أكيد إنتِ تعبانة .. إنتِ مأكلتيش من
الصبح

تركت شعورى بالوهن يسيطر علىّ وقالت :

- ممكن أدخل السرير .. أنا تعبانه فعلاً .

ساعدونى حتى وصلت لفراشي .

قالت أمى :

- مينفعش تنامى من غير ما تاكلى .

قلت :

- أنا تعبانة ورحت للدكتور وهو قالى لازم

أرتاح .

قال عادل بلهفة أكبر :

- دكتور إيه ؟ تعبانة ليه ؟ ردى يا ياسمين
الدكتور قالك إيه ؟

جلست فى الفراش وقلت :

- عندى حاجة بسيطة إطمنوا .

- إتكلمى يا ياسمين عندك إيه ؟

- عندى مفاجأة 😊

- إيه هى اتكلمى ؟

- أنا حامل فى الشهر التانى .

كانت سعادة عادل لا توصف أما سعادة
ماما يسرية فقد كانت كطوفان من الفرحة .

تذكرت مقولة أن السعادة فى العطاء ،
فقررت أن أطبق هذه المقولة .. كنت أعيش
فى بيت به ثلاثة أشخاص وعدد كبير من
الخدم أما الأشخاص فكان منهم زوجى

المريض الذى يحتاج للنوم لأوقات طويلة
فقررت أن أجعله أسعد إنسان فى هذه المدة
حتى أننى كنت أصلى الفروض وأقرأ
وردى من القرآن وهو نائم حتى أتفرغ له
تماماً لأنى أعلم أن هذا يسعده وقد كان حقاً
سعيداً معى .

أما حماتى وشقيقها فكان إثنان من المسنين
بدأت أناديهم بأمى وأبى وأعطيتهم حباً
وحناناً كانا محرومين منه .

هذا الأهتمام جعل حماتى تطمئن على ابنها
وبيتها فتركت لى كل شئى وذهبت هى
وشقيقها لأداء فريضة الحج ، وعندما عادا
وجد كل شئى أفضل مما تركاه ،

تذكرت كيف كان جدى يدير أرضه ،
وكيف كان يتعامل مع الفلاحين ، وتذكرت
أيضاً بعض المعلومات الزراعية التى كنت
أسمعها دوماً وأنا جالسة بجواره حتى أننى

كنت أتمقص شخصيته وطريقته فى الحديث
مع الفلاحين .

عندما عاد خالى فؤاد كان مريضاً جداً لكنه
كان سعيداً لأننى إشتريت بعض المواشى
المدررة للألبان وأنشأت معملاً لتصنيع
الأجبان ، وبطارية للتفريخ .

حتى لا نضطر لشراء الكتاكيت غير
المحصنة بأسعار عالية وكانت المزرعة بها
عنبر مهجور قمت بترميمه وتجديده
وإفتتحته للعمل .. كل هذا أنجزته فى الشهر
ونصف الذى قضياه فى الحج فقد تأخر
وصولهم بسبب مرض خالى فؤاد ودخوله
للمستشفى .

أما والد عادل فمنذ زفافى لم اره إلا مرات
قليلة . كان يأتى ليأخذ مصروفه الشهرى
الذى قررته له ماما يسرية لكن بعد سفرهم
إستغل وجودى بمفردى فأخذ مصروفه
الشهرى ثلاث مرات فى شهر واحد ..

ورضخت لطلبه كما نصحنى عادل لأنه
سيسبب لى مشاكل كثيرة .

كنت اقسم وقتى بين العمل والذاكرة
والإعتناء بزوجى .. حتى اننى إستبدلت
سؤال هل أنا سعيدة بسؤال هل أنا ناجحة
وهل إستطعت حقا منح السعادة لكل من
حولى .. السعادة ذلك الإحساس الذى لا
يباع ولا يشتري ولكنه هبة ومنحة تنالها
بحب من حولك .

بعد ظهور نتيجة الثانوية العامة وبعد وفاة
خال زوجى بشهرين جاء للحياة إبنى محمد
وبعده بعام أضاءت حياتى إبنى إيمان ..
يوم ولادتها أقبلت حماتى تحمل علبة
مجوهراتها أو الشكومية الكبيرة كما كانت
تسميها وقالت :

- المجوهرات دى ملك لأسرتنا ودلوقتى
بقت ملكك إنت وإيمان .

كانت سعيدة .. فقد تمت دوما أن ترزق
بفتاة .

بعد ولادة إيمان فاجأني عادل برغبته فى
عمل جراحة فى المخ حتى يتخلص من
عرجه الدائم وصداعه .. لكنى رفضت ..
فالعملية غاية فى الخطورة ونسبة نجاحها
قليل جداً .

لكنه أصر على إجراءها كان قد قام بترتيب
كل شئ مع الأطباء ووضعنى أمام الأمر
الواقع . حمل إيمان وقبلها فابتسمت له فقال

- نامى يا منمونة ماما زعلانه منى لازم
أصالحها .

وضعها فى فراشها وجاء ليتمدد بجانبى .

- ممكن تسمعينى .. نفسى أعيش زى أى
إنسان طبيعى .

- وأنا نفسى تعيش .

- الأعمار بيد الله والعملية إن شاء الله
هتنتجج أو حتى لو فشلت فهفضل زى ما أنا
أو لو عمرى أنتهى هموت وأنا نايم جنبك ..
فرصة الدكتور النمساوى ده مش
هتتكرر هو الوحيد اللى بيعمل العملية دى .
وضعت يدي على فمه وقلت بغضب :

- بعد الشر عنك .

أمسك يدي وقبلها ثم بدأ يتجول بفمه على
وجهي كانت قبلاته تدغدغ حواسي
وتسكرني قال عادل :

- حاولي تنامي هسافر بدرى .

- هاجي معاك .

- لا هروح لوحدي الأولاد وأمي وكل شئ
هنا محتاج لك والدي هيكون معايا .

- عادل أنا وولادك مالناش غيرك ، إوعدني
ترجع لى .

- أوعدك عمرى كله ملكك .. قولى ورايا
لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

فكررت خلفه .. ضمنى لصدرة وغرقنا معاً
فى النوم .. شعرت أن عادل يودعنى
فأرتعدت خوفاً .

فى الصباح إستيقظ وتناول إفطاره وحمل
محمد وبدأ يلعبه متجنباً النظر لى أو لأمه
حتى لا توهن دموعنا فى عزيمته .

لم يكن يشجعه إلا والده .. سرنا معاً إلى
السيارة .

كانت ماما يسرية تحمل إيمان وكنت أنا
أحمل محمد وعادل يستند على كتف والده
قلت لماما :

- عادل هيرجع لنا بالسلامة .. إن شاء الله .

لكن قلبى كان يحدثنى بعكس ذلك ، شعرت
بشئى ما يتحرك فى صدرى ربما كان هلعاً

. حملت فاطمة إيمان وأنزلت محمد أرساً
وإحتضنت عادل .

أغرقت دموعى وجهه حاولت أن أحكم
عقلى أو أتمالك نفسي لكنى بدأت أعانى
صعوبة فى التنفس .

إنطلقت السيارة بعادل فجلست أرساً مسندة
خدى على ركبتى وبدأت فى إستعراض
ذكرياتى مع عادل لابد أن أكون أقوى من
ذلك أولادى يحتاجوننى .

مدت ماما يسرية يدها لى فوقفتم .. شعرت
بالدوار وكأننى أقف على قمة جبل ضمتنى
لصدرها وعدنا للبيت.

وجدت محمد قد نام على كتف عم منصور
. وإيمان تبكى .

حملتها ودخلت الحجرة لإرضعها وجلست
على الكرسي الهزاز وبدأت أهدها حتى

تنام . وضعت فاطمة محمد فى فراشه ..

كنت فى غاية الخوف يداى ترتجفان .

ضممت إبنتى إلى صدرى لأخفى إرتعاشتى

.. مر يومان وأنا أعيش كالأموات .

كان عادل يتصل بى كلما تمكن من ذلك فى

آخر مكالمة قال

- مفتاح درج المكتب العلوى فى اخر درج

على اليمين .

- فيه إيه الدرج ده يا عادل ؟

قال :

- شوية أوراق مهمة .. خللى بالك من أمى

ومن الأولاد .

وأغلق الهاتف .

لم أسمع صوته بعدها فقد دخل حجرة

العمليات . لم أكن قد أغمضت عينى منذ

ثمانية وأربعون ساعة فنمت بجانب إبنتى

وبدأت أغنى له حتى ينام فسقطت فى هوة عميقة ، نمت ولم أدرى بنفسى إلا وفاطمة توقظنى لأن إيمان تبكى .

حاولت الجلوس فلم أقدر فناولتني إيمان ووضعت بعض الوسائد خلفى سألتها :

- أنا نمت كام ساعة ؟

- ثلاث ساعات .

- مفيش أخبار عن عادل ؟

- والده اتصل وقال إنه لسه فى العمليات .

- بقاله ست ساعات !

- يارب يا ست ياسمين يكون الدكتور النمساوى ده كويس .

- يارب يارب .

سقطت فى النوم مرة أخرى وبنتي لا تزال ترضع

ايقتنتى فاطمة مرتين لأرضعها ..

جاءنى عادل كان يرتدى قميصاً ابيض
وبنطلون أبيض وقف أمامى بعين باكيه
وأجفان مقرحة وقال بهدوء وبنبرة مستسلمة
"الوداع يا ياسمين" ناديته .. صرخت
طويلاً ظللت أصرخ وأولادى يصرخون ثم
استيقظت .

حاولت التنفس بشكل طبيعى حاولت
التركيز لأخرج من الكابوس .

سمعت صوت حماتى تصرخ وتقول :

- ابنى عادل ابنى مات .

دخلت فاطمة الحجرة كانت تنظر لى تركت
إيمان على الفراش وخرجت من الحجرة
هل لازلت أحلم ؟ لا أنا مستيقظة الآن .

ماما يسرية لا تزال تمسك سماعة الهاتف
بيدها .

خرجت من القصر مشيت طويلاً حتى
خرجت من الحديقة لاحظت أن بعض
الرجال يجرون خلفى أصابنى الدوار
فسقطت أرضاً .

رأيت الكثير من الوجوه تحرق فى وجهى
يحدثوننى فلا أجد لسانى لأرد عليهم أنام
قليلاً ثم أستيقظ لأنادى على عادل وأولادى
. لورأيتنى حينها لبكيت لحالى.. أنطفأ بريق
عيني فصرت كالشبح هربت الدماء من
وجهى وتجمعت فى أجفانى .. أجلس ساهمة
.. أهرب من شبح الذكرى ومن الأفكار
التي تعصف بى . وأطارد النسيان الذى
صار همى الوحيد .. لقد وهبت قلبي
وعمرى لعادل والآن أنتبهت أنه يسبح فى
دمى

كان عذابى أليم حين أفكر أننى لن أراه مرة
أخرى .. لم تتركنى أمى ولا خالاتى . ماما
يسرية أظهرت قوة وصلابة تفوق التصور

، كانت تطالبني بالصبر حتى لا نحرم من الأجر .

مر عام كامل على وفاة عادل .. مر كقطار
بطئ غاضب سحق عظامي .. مر بهدوء
قاتل جاءتنى صدمة أخرى عندما ذهبت
فاطمة لتوقظ ماما يسرية فلم تستيقظ .

كانت صدمة موتها هي التي أعادتني للحياة
.. لا يجوز أن يموت الجميع ويبقى أولادي
بمفردهم

كانت قبل وفاتها قد سجلت كل مالها
وأملأها باسمي واسم أولادي ولم تترك
لزوجها سوى وديعة في البنك بإسمه
ليحصل على عائدها الشهري .

أما الوديعة نفسها فلا يستطيع سحبها إلا
أولادي

ولكن والد عادل كان قد رتب لي ترتيباً آخر
، أخرجني من دائرة الحزن المستقر إلى

دائرة القلق والعودة مرة أخرى للشعور
بعدم الأمان .

(١٨)

لم أكن أدري كيف أتصرف مع والد عادل ؟
فقد كان مقامراً وفى إمكانه إضاعة الثروة
كلها فى أقل من عام .

لذلك تحيرت كيف اتصرف مع
عجوز مافون مثله .

كانت حماتى قد سجلت جميع أملاكها
باسمى أنا وأولادى ، وتركت له وديعة لا
يستطيع التصرف فيها إلا وراثته .

عندما علم بما فعلته قال :

- هـ أكون الوصي على أحفادى .. أنتِ وهم
قُصر ومن حقى أتصرف فى جميع أموالهم
كان قد تبقي لى ستة أشهر حتى أكمل واحد
وعشرين عاماً .

سهرت ليلى أفكر بالأمر حتى هدانى التفكير
إلى حيلة .. قمت بالإتصال بمجموعة من
الأعيان والأقارب . وإتفقت معهم أن يقوموا
بإستئجار الأرض والمزرعة والفيلا .
وبعقود محررة من حماى فقد كانت قبل
وفاتها قد وقعت لى مجموعة كبيرة من
الأوراق على بياض حتى أصرف الأعمال
وهى مريضة .

و فعلاً تم لى ما أردت ، فهكذا سيقوم كل
مستأجر بحماية ما إستأجره . ولن يستطيع
حجازى أن يتصرف بالبيع فى أى شىء
وليس معه أى أموال للتفاوض مع
المستأجرين .

أخذت الأموال السائلة والمجوهرات
والذهب ، ووضعتها فى البنك واشترت
شقة فى المنصورة فى أحد الأحياء الهادئة .
كانت جامعة المنصورة أقرب جامعة لسكنى
. لذا قررت العودة للدراسة بها ، وأنتسبت

لكلية الآداب جامعة المنصورة قسم علم
النفوس .ساعدنى خالى فتحى فى كل شئى فلقد
عاد للبلدة بعد انتهاء إعارته وعادت جدتى
للإقامة معه برغم أمراضها وصحتها
الضعيفة إلا أنها كانت سعيدة .وكانت تدعو
لى دائما .

ذهبت مع والد عادل للمجلس الحسبي .. لم
يجد ما يمكنه الإستيلاء عليه فثار وهاج
وهددنى بالقتل . بعد ساعة عاد هادئاً
وابتسامة خبيثة ترتسم على محياه .
قلت :

- هديت ؟!

- هديت جداً .. بس متطمئنيش قوى كدا إنتِ
لسه رقبتك تحت إيدى .

- وأولادى الأيتام دول مين يربيههم ؟

ضرب على صدره قائلاً :

- أنا .

- إنتَ هددتني قدام الناس كلها يعنى لو
جرالى حاجه إنتَ اول واحد هتتسجن
والولاد هيضيعوا مالهمش غيرى وغيرك ..
ياعمى إرحمنى دول أيتام .. هما أولى
بفلوسهم ، ماما يسرية رفضت تورثك .
محدث بيورث حد بالعافية .

- خالد ابني هيربيهم . أيوه خالد إزاي كنت
ناسي ؟

- خالد .. وهو فين خالد ؟

- هيرجع.... كل المال ده هيكون بتاعه ،
هو مخلفش ... أولاد عادل هيكونوا أولاده .
إنتى العقبة الوحيدة .. فخليكى عاقلة
وتسمعى الكلام وتعيشي تربي ولادك ولا
تروحي فى شربة ميا .

أنا انتظرت ستة وعشرين سنة لحد يسرية
ما تموت علشان أورثها. وفي الآخر أطلع
بإيه؟

وجدت أنه لا فائد من مجادلته فحاولت
كسب مزيد من الوقت حتى أأمن على نفسي
وأولادى فقلت بصوت منكسر :

- حاضر .. هسمع الكلام وهعيش اربي
ولادى .

- شاطرة .

يبقى تنفذى كل اللى اطلبه منك .

- إنتَ عاوزنى أعمل إيه ؟

- بعدين هتعرفى فى الوقت المناسب .

تأكد أن تهديده قد روعنى فقام بإحضار
والدى وبعض أقاربي وجلس مزهواً فى
صدر المجلس ونظر لى مبتسماً وقال :

- إبنى الدكتور خالد ، جراح المخ
والأعصاب بعث لى أخطب له أرملة أخوه
عادل .

صرخت قائلة :

- مستحيل .. هى دى خطتك .. أنا مش
هتجوز بعد عادل .

قال أبى :

- إبنك خالد متجوز .

- متجوز ومخلفش .. كل أملى أجمع شمل
ولادى ، خالد يربنى ولاد أخوه ويمكن ربنا
يرزقه هو وياسمين بذرية .

تذكرت ما قالتة لى ماما يسرية من قبل ..
حجازى بياخد كل المال اللى يكفيه لكن هو
عايز خالد يورث محبش حد قد خالد

- الله يرحمك يا ماما يسرية .

- ايه يا ست الحسن رأيك أيه ؟

- محتاجه مهلة أفكر .

- قدامك اسبوع .. الجمعة الجاية هنجتمع
هنا بعد الصلاة هنتغدى معاكى كلنا .

إتصلت بخالى شكرى أطلب مشورته ،
حاولت أن أحكي له كل ما حدث لى لكنى لم
استطع التفاهم معه فى التليفون فإبتهزت
فرصة أسبوع المهلة وقررت السفر له .
وهناك استعدت ذكرياتى مع عادل ونظرت
لوجهى فى المرأة فرأيتنى وقد زاد عمري
أعواما وأعوام .وقالت لى زوجة خالى لا
تستسلمى لمن يسلبك عمرك .

كان رأى خالى أن أوافق على الزواج .

قال إن خالد يحب زوجته جداً وخالد هو
اللى هيرفض يتجوزك .

عدت للبلدة فى الموعد المحدد جاء حجازى
ومعه جمع كبير من الناس أمام الناس
أخبرته بموافقتى ..

تعجب ابي من تبدل موقفي لكنه فهم عندما
أكملت :

- هنتظر موافقة الدكتور خالد وحتى لما
يوافق هنتظر لحد ما بييجى من لندن .

قال حجازى بفخر :

- الدكتور خالد موافق . هو معقول يرفض
وبعت لى توكيل علشان أكتب الكتاب
بالنيابة عنه لحد ما يرجع بالسلامة ، بعد اقل
من ست شهور .

هنا اسقط فى يدى .. قلت بتلعثم :

- إزاي يوافق أستاذ جامعى وطبيب لامع
مثله ان يتزوج إنسانه لم يرها من قبل ؟

- هو واثق فى زوق ابوه وأنا شكرت له
فيك وفى جمالك وأدبك .

- طيب أحنا نستعجل ليه لما يرجع نكتب
الكتاب .

قال بتهديد :

- إفتكرى الكلام اللى قلناه من كام يوم .

فخفضت رأسى ..

خرج لدقائق معدوده ثم عاد ومعه المأذون .
تذكرت لقائى بالشيخ محمد رحمه الله يوم

أرادوا إرغامى على الزواج من خليل ..
كان المأذون هذه الأيام هو ابنه الشاب أحمد
.. ثلاث حفلات زفاف تقام لى ولا تزال
زميلتى زينب شقيقته فى الجامعة .

شعرت أننى قد صرت عجوزة قليلة الحيلة
، كان حجازى كل همه المال .. هل اتركه
له وأعود للحرمان والفقير؟! .. هل أتخلى
عن الأمانة التى تركتها لى ماما يسرية
واضيع مستقبل أولادى ؟

والدى يكلمنى والمأذون يسألنى وأنا صامته
حائرة ماذا افعل

يارب الهمنى الصواب .. سمعنا أذان
العصر فإبتسم الشيخ أحمد قائلاً :

- هنروح نصلى يا ياسمين ولما نرجع تكون
قررتى هتعملى ايه .

خرجوا للصلاة فكرت كثيراً ثم صليت
العصر ودعوت الله فى سجودى حتى
يلهمنى الصواب .. تذكرت كل ما سمعته
عن خالد من خالى شكرى هو طبيب ناجح
متزوج من طبيبة يحبها وسعيد معها .

عادل حدثنى عن خالد من قبل وأخبرنى أن
خالد جاء من الخارج ووقف بجانبه بعد
الحادث وإن لخالد فضل كبير فى علاجه .

وقال ان خالد محب للشعر والأدب
والموسيقى وآخر همه المال .

كنت أثق فى قدرة عادل فى الحكم على
الناس ومن يدرى ربما أسعد بالقرب من

خالد ولا أكون وحيدة .. ربما يحسن
لأولادى ويعوضهم حنان الأب .
وإذا لم يحدث ذلك سأطلب الطلاق منه .
كنت أحدث نفسي عندما أخبرتني فاطمة
بعودة الرجال .. ذهبت لأتمم عقد القران .
تزوجت بعد عام من وفاة عادل بشقيقة الذى
لا يعرفنى ولا أعرفه .

بعد أن هدأت نفس حجازى وإطمأن قلبه ..
ترك البلده وذهب للإقامة الدائمة فى
القاهرة .

كنت أتتبع أخباره من بعيد حتى لا يفاجئنى
بأمر لا أستطيع مواجهته .

كان حجازى قد احتال على ماما يسرية قبل
وفاتها وأخذ مبلغاً كبيراً ليشتري شقة بإسم
عادل على النيل .. ولكنه إشتري بالمبلغ
شقتين إحداهما بإسم خالد والأخرى بإسم
عادل وكان يؤجرهم مفروشتين .

كان الإيجار بالإضافة لعائد الوديعة يكفيه
ليعيش عيشة كريمة .. إلا أنه عمل بأحد
نوادى القمار التابع لأحد الفنادق الكبرى ثم
إنقطعت عنى أخباره .

انتقلت إلى شقة المنصورة مع أولادى ..
أصطحبت فاطمة ووالدها عم منصور ليقبوا
معى فقد أوصتنى ماما يسرية بهم خيراً .

كنت أذهب للجامعة بسيارة خالى فؤاد
القديمة وأحيا حياة بسيطة .. فبرغم إملاكى
للملابيين إلا أننى لم أكن أحب المبالغة فى
ملابسى ولا طعامى .

كنت أتعجب من عدم عودة خالد أو اتصاله
ألا يسأل عنى أنا زوجته على الأقل يهتم
بأطفال شقيقة وصلت إلى قناعة أن خالد قد
أرغم مثلى على الزواج وينتظر أن أطلب
أنا الطلاق منه . تركت له هو فقط عنوانى
مع خالى فتحى ومع أبى وعندما أזור البلدة
أسألهم هل عاد خالد أو اتصل ؟ فيكون الرد
الدائم لا لم يعد أو يتصل . فيزداد تعجبى ..!

كل وقتى اقصيه مع أولادى وكتبى ولا شئ
غير ذلك .. كنت أتحدث مع أولادى كأنهم
كبار ، وأحكى لهم كل شئ .. أربعة أعوام

قضيتها فى المنصورة لا أحاول لفت
الأنظار .. إبتعدت عن كل الجيران ولم
أتعرف على زملاء ولم أكتسب أصدقاء .

أخذت معى من القصر بعض الملابس
البسيطة لكنها جميلة .. حملت معى
مجموعة كبيرة من الكتب فلا حياة لى بعيداً
عن الكتب .

برغم ما أمتلكه من ثروة ومأملكه من
جواهر إلا أننى أشعر أحيانا أن هناك امرأة
أخرى تسكن بداخلى هى .. حزينة دوما لم
استطع استمالتها ابداً مهما حاولت فهى لا
تحب الذهب ولا الجواهر ولا تشتهى الثياب
الفاخرة .. أحاول استمالتها حتى ترضى
عنى .. ففتلاً للإبتسامة فى محياها لحظات
ثم تنطفىئ .. ويترقرق نور الرضا فى
عينها للمحة ثم يتلاشى . اننى انتظر ذلك
الشعاع الذى يتفجر من الظلمات اشعر اننى
ما ازال طفلة أريد أن أركض وألهو أريد أن
أشارك أولادى فى اللعب ولا أريد أن ألقى

بالأ إلى غدائر شعرى التى ستصبح مشعثة
...ولا إلى ثيابى التى ستتسخ من التراب
..أريد أن أجرى أجرى واقفز حتى ينهكنى
التعب فأنام فى أحضان الأرض .،أريد
تعويض طفولتى التى حرمت منها فى
طفولة أولادى لكن يبدو أننى ولدت مسنة

كان عم منصور يشتري لوازم المنزل
ويساعد فاطمة فى شغل البيت ويساعدانى
على تربية أولادى بطريقة صحيحة

مرت السنوات حتى أصبحت فى السنة
النهائية ولم يأت خالد ولم يتصل ولم أعرف
شيئاً عن حجازى والده .

إلا عندما وصلتنى رسالة تبلغنى بمرضه
وأنة نزيل أحد المستشفيات بالقاهرة ..

ذهبت لزياته .. رأيت فى حجرته سيدة فى
حوالى الأربعين من عمرها ترتدى تايبير

كحلى ضيق جداً وتضع على وجهها الكثير
من المساحيق سألتها :

- إنتِ مين ؟

قالت :

- أنا نرجس يا عينيه .

- نرجس مين ؟

- أنا مرات حجازى بيه .

- آه مراته .. إتجوزتوا امتى ؟

- من ثلاث سنين .

إنتِ بقي الست ياسمين مرات ولاده .

ثم ضحكت ضحة عالية .. إستيقظ حجازى
ونظر إلى .. أراد أن يتكلم لكنه لم يستطع
بسبب الشلل فأصدر هممة حزينة .

أشفقت عليه برغم كل ما فعله بى .

سألت الطبيب عن حالته قال لا أمل فى شفائه مسألة وقت وفى النهاية الأعمار بيد الله .

حكى لى نرجس كيف تعرفت عليه فى أحد الملاهى الليلية ، وكيف خيراها بين ترك العمل وبين أن تحيا معه حياة شريفة فأختارت أن تتزوجه .

دفعت حساب المستشفى وتركت لها مبلغاً كبيراً من المال وأعطيتها رقم تليفونى لتتصل بي إذا أرادت شيئاً .

بعد أيام قليلة إتصلت لتخبرنى بوفاة حجازى فعدت إلى البلدة لتحضير المدفن والجنائز وأقامت سرادق عزاء يليق بوالد عادل . لم أكن أعلم عنوان خالد حتى أرسل له لأخبره بوفاة والده .

طلبت نرجس أن تتحدث معى قبل أن تسافر
قالت نرجس :

- خالد ميعرفش إنه متجوزك ، أبوه طلب
منه التوكيل علشان يشتري حته أرض
بإسمه وهو لحد دلوقتي ميعرفش عنك أى
حاجة .

- وانتى ليه بتقوليلى الكلام ده دلوقتي ؟

- لإن حجازى لما كان بيتكلم عليكى كنت
فاكراكى شرانية خدتى الثروة كلها لوحداك ،
لكن لقيتك طيبة وبنيت حلال ، علشان كده
ربنا كرمك .

ماذا أفعل الآن .. هل أنا متزوجة من خالد
الذى لا يعلم عنى أى شئ ؟ أم أرملة عادل ؟

إتصلت بالمحامى لأستشارة ، فقال أنه
سيذهب إلى السفارة ليطلب عنوان خالد ،
ثم تراسلينه وتطلبى الطلاق ، أو نطلقك عن
طريق المحكمة بكل سهولة ، الأمر بسيط
جداً .

كانت إمتحانات الليسانس قد إقتربت فأجلت التفكير فى الأمر حتى أنتهى منها .

بعد ظهور النتيجة وجدت أننى حصلت على تقدير جيد جداً فقررت أن أستكمل دراستى العليا فى جامعة القاهرة .

تسلمت شقة عادل وقمت بفرشها وإنطلقت بأسرتى المكونة من محمد وإيمان وفاطمة ووالدها عم منصور ، فقد كانوا هم كل الأهل

عاودتنى ذكريات وفاة جدى عندما أرسلت جدتى تطلب رؤيتى كانت ضعيفة شاحبة جميع أولادها حولها لكنها فتحت عينها وقالت ياسمين

قلت لها وانا اقبل يدها نعم يا حبيبة ياسمين ألف لا بأس عليكى

قالت تعالى جنبى يا فاتحة قلبى فجلست بجانبها واحتضنتها

قالت جدك معنا وشايفك وفرحان بيك أنت
ما بقاش يتخاف عليك

قلت اطمنى يا زوزو أنا جامدة كل اللي
مريت بيه خلانى أقوى

وزوجك يا بنتى

وضع خالى يده على فمه يحذرني من الكلام
فلقد كان هو الوحيد الذى علم أن خالد لم
يعلم حتى الآن أن تزوج بى

قلت اطمنى يا زوزو كل شئ هيكون تمام
زوزو دى مكانش حد بيقولها غيرك انت
وجدك

قبلت وجنتها وقلت أيوه كان بيدلحك يا قمر
ابتسمت وسقطت دمعتان كأنهما اللؤلؤ على
خدها المتغضن فمسحت دمعتها وقبلت
جبينها وقلت اتركك ترتاحين قالت هاتى
أولادك أحب أشوفهم وجدك كمان يشوفهم

كانت تتحدث بيقين من يرى جدى معها فى
الحجرة سألتها

هو جدى معانا ؟.

قالت هو وأبويا وأمى وست يسرية وعادل

أحضرت فاطمة إيمان ومحمد فخرجت
من الحجرة خشيه أن ترى جدتى دموعى
كانت أمى وخالاتى يبكين أمهم فلقد تأكد
الجميع أنها تحتضر

خرج خالى وفاطمة والأولاد بعد ان نامت
جدتى وأمرتهم بالخروج

بعد قليل دخلت أمى لتطمأن فصرخت
وقالت أمى ماتت

كانت جدتى مبتسمة وهادئة والدموع تتلألأ
على وجهها المشرق الجميل .

(٢٠)

كانت البناية التى نساكن بها مكونة من
عشرة طوابق تطل على النيل مباشرةً ، كل
طابق مكون من ثلاث شقق . لم يكن بها
مصريين إلا فى الطابق الثالث الذى نقطنه .

كانت شقتى وشقة خالد المغلقة، وشقة
الدكتورة أمل وشقيقتها هناء .

كانت أمل وهناء تعيشان بمفردهما ،
تزوجت أمل منذ فترة طويلة وطُلق
فقررت ألا تتزوج مرةً أخرى ، كانت تعمل
أستاذة فى كلية الآداب .

أما هناء الشقيقة الكبرى فبرغم جمالها لم
تتزوج ، كانت مدير عام فى أحد البنوك
وظلت ترفض الخطاب حتى فاتها قطار
الزواج ، وبدأ يتقدم لخطبتها أشخاص دون
المستوى ففضلت أن تبقى هكذا بلا زواج .

باقى سكان العمارة من الأجنب وبها بعض
المكاتب والشركات .وسفارة لدولة أوربية
تحتل مساحة الطابق الثامن كله .

تعرفت بأمل وهناء وتوطدت علاقتى بهما ،
فقد كانتا مثلى ليس لهما أقارب ولا معارف
يزورونهما .

إتصل بى أبى وأخبرنى أن خالد جاء الى
البلدة لزيارة قبر والده ثم سافر من حيث
أتى ولم يسأل علىّ ولا على أولادى
بعد أيام قليلة رأيت خالد فى شفته بصحبة
زوجته ومهندس الديكور .

جاء إذا ليسكنا الشقة المجاورة لى . ولقد
رأيتة . نظرت إلى وجهه فامتأأت بلامحه
عيني وسمعت صوته ففتنت به أذنى وعندما
نظر إلىّ صرف قلبى إليه عن كل شئ .

بعدها صار دائم التردد على الشقة لمتابعة
العمال .. التقيته أمام باب شقتي قال بصوت
جميل

- اهلاً .

فاجأني حديثه معي .. كنت دوماً احاول أن
أختفي من أمامه حتى لا يراني ، فرحت أن
البواب القديم قد عاد إلى بلدته بعد وفاة
حجازي والجديد لا يعرف قصتنا . كان
الإرتباك يعصف برأسي كان عليّ أن أنطق
.. يجب أن أرد عليه بكلمة مما يقولها الناس
عادة في مثل هذه المواقف . فهو لا يعرف
من أنا لا يعرف أنني أرملة شقيقة ... لا
يعلم أنني زوجته هو .

كان ينتظر ماداً يداً لمصافحتي ..

- إهلاً بيك .. إسمى خالد حجازي .

وأشار إلى باب شقته كانت اللوحة مكتوب
عليها اسمه وتخصصه معلقة على الباب .

جراح المخ والأعصاب وتحتة إسم زوجته
باكينام حجازى طبيبة تجميل يلتزمون
بالنظام الإنجليزى الذى يجعل الزوجة تحمل
إسم زوجها .

تخيلت اسمى انا أيضاً موضوعاً بجانب
إسمهم ياسمين حجازى شعر بخجلى .

قلت متلعثمة :

- أهلاً بحضرتك .

كان موقفى غيبياً جداً .. لا بد أن إنطباعه
عنى الآن غريباً .. فتح باب شفته فوقفت
انظر له ببلاهة . ابتسم إبتسامة جميلة
جعلتنى أحمر خجلاً .

بعد يومين إلتقينا مرة أخرى فى الأسانسير
حيانى بإبتسامة .. لم أفجح فى محاولة منع
عيني من النظر إليه .. كان وسيماً جداً يشع
جمالاً وجاذبية .. لم يكن من اللائق أبداً أن
أنظر إليه هكذا .

تكررت لقاءتنا أقالبه فى الأسانسفر ككثراً
أثناء الصعود أو الهبوط ومعى أولادى .

كان فحمل إيمان وبقبلها وفتحدث مع محمد
فى السفاسة والكرة وكل شئ ، كان مبهوراً
بهما بدرجة لا تُصدق ، كىف لأطفال فى
هذا العمر أن فكونوا بهذه العقلفة .

قابلته وزوجته ذات مرة فى مدخل العمارة

كانت باكىنام طوئلة أشبه بتمثال .. قوامها
جمفل من ذلك النوع الذى تراه على أغلفة
مجلات الموضة ، كان شعرها مصبوغ
باللون الذهبى فقد بدا اللون الأسود واضحاً
تحت منابت شعرها الذى تمتد تموجاته
حتى أسفل ظهرها .

كان جمالها فجعل ككثراً من النساء ففقدن
الثقة فى أنفسهن .

قال لها :

- اقدم لكِ الأستاذ محمد والأنسة إيمان
السيدة والذتهما ، دول جيرانا .

وأشار عليها :

- دكتورة باكينام .

قال محمد :

- أهلاً بكِ يا دكتورة .

قلت :

- تشرفنا يافندم ، حضرتك تخصصك مخ
وأعصاب زى الدكتور خالد ؟

نظرت بتأفف ولم ترد .

قال خالد وهو ينظر لها بضيق :

- لأ دكتورة تجميل ، محمد وإيمان يا
باكينام عقليتان نادرتان ، ثقافة وأدب وذكاء
، أنا أحبيكى يامدام على التربية العالية دى

ردت :

- هو إيه الأسانسير مش هيوصل فى نهاره
ده ولا ايه ؟ إزاي عمارة كبيرة زى دى
شغالة بأسانسير واحد ؟

كانت تتحدث بعصبية وبصوت مرتفع ،
أخذت أولادى وإنتحيت جانباً . شعر خالد
بالخجل وقال لها :

- ميصحش كده .

رفعت صوتها مستنكرة :

- هو إيه يادكتور ، إحنا قولنا بلاش حكاية
الجيران دى .

- بس دول أطفال ، وعرفت من البواب إنهم
أيتام ، وما شاء الله ذكائهم خارق .

- لا وإنت الصادق شكلهم أقزام .

غمرتنى موجه من الإشفاق ومن الراحة ،
الإشفاق لأنى شعرت بخجله من عصبيتها
الزائدة برغم حبه لها ، والراحة لأنها لم

تكن المرأة الكاملة التي ظننتها ، المرأة التي
تستحق رجلاً مثل دكتور خالد .

أخذت أولادى وصعدنا السلم حتى لا أستمع
إلى حديثهم أكثر من ذلك ، وأراه يتصعب
عرقاً وهو ينظر نحونا .

كانت إحدى الشركات قد قامت بتحويل
سطح العمارة إلى نادى إجتماعى .

صعدت بأولادى للسطح بعد أن تناولنا
الغداء حتى يجروا ويلعبوا قليلاً ، فوجئت
به هو وزوجته على السطح ، عندما رء أنا
جاء معتذراً نظرت لنا باكينام بمزيج من
الإحباط والقلق

- انا أسف جداً ، معلىش أصلها عصبية
شوية .

- لا أبداً ولا يهملك ، عموماً إحنا مش
هنضايقها أبداً .

رفعت صوتها الحاد تناديه .

إنضمت إلينا أمل وهناء ، قمت بتعريفهم
بالدكتور فجلس معنا وتركها .. بعد قليل
إستأذن وذهب إليها .

لم أحكى لهما شئ عن خالد ولا عن حكايتي
معه ، لكن هناء كانت تنظر لى وتقول :

- مالك بتحمرى قوى وبتعرقى لما بيظهر ،
هو فى ايه ؟ ردى يابنتى أنا حبيبة قديمة
قوليلى بس.

إبتسمت ولم أرد . فأكملت :

- طب وانبى تحكىلى .

ردت أمل :

- سيبك منها يا ياسمين أصلها بقت مراهقة
على كبر .

جلسنا نتحدث ونبتسم وعينا خالد لا تفارقنى
عضضت شفتى حتى أخفى ابتسامتى
ونظرت له ثانية فرأيت زوجته تنظر نحونا

.. ثم قررت أن تترك المكان وتنزل فنزل خلفها .

وهنا فقط قررت أن استعيد خالد ، شجعتنى نظراته لى وأن زوجته لا تستحقه .

إتصل المحامى ليخبرنى أنه قد قام برفع الدعوى ، صرخت قائلة :

- ليه كده ؟

- ليه إيه يامدام !

- طب إنت جبت عنوانه منين ؟

- من الجامعة .

من أكبر المفاجئات التى حدثت أن خالد سيدرس لى إحدى المواد فى تخصصى (علم النفس) وهى مادة مشتركة مع تخصص المخ والأعصاب.

أثناء المحاضرة حاولت الظهور بمظهر من ينتبه جيداً لما يشرحه الدكتور لكننى لم افهم

شئى .. لم أكن قادرة على التحكم فى
أفكارى .

بعد المحاضرة جاء ليسلم علىّ سرنا معاً
خارجين من الكلية .. كان المطر يتساقط
كرذاذ خفيف .. إبتسم وهو يقول :

- دى فرصة سعيدة جداً .

- انا أسعد يادكتور .

- تلميذتى وجارتى فى نفس الوقت .

- بس كويس إنك قررتى إستغلال وقتك فى
الحصول على الماجيستير والدكتوراه ..
أولادك فى منتهى الروعة .

- هما كل دنيتى .. أنا يتيمة وهما أيتام .

- عرفت إنك أرملة .

قلت بانكسار :

- مضبوط .

- طيب مش ناويه تتجوزى تانى ؟ إنتِ لسه
صغيرة وجميلة

لم أستطع الرد عليه وأغرورقت عيوني
بالدموع .. ماذا أقول ؟ هل أقول له أنت
زوجى ؟

إعتذر لى وقال :

- أنا أسف جداً .

- أبدأ يادكتور ، بس مش ملاحظ إننا كل
ماينتكلم حضرتك بتعتذرلى .

- كنت بتأسف عن زوجتى لكنى الآن
بتأسف عن نفسى .

- ولا يهملك

إنتم معندكوش أولاد ؟

لا للأسف الدكتورة عندها ظروف صحية
تمنعها من الإنجاب وأنا مكتفى بها عن كل
الدنيا ..

فتحت فمى مندهشة مكتفى بهذه المرآة ..
على رأى هناء مرآية الحب عمياء .
كنا قد وصلنا إلى موقف السيارات .

قال :

- إسمحى لى أوصلك .

- أشكرك يا دكتور معايا عربيتى ، كمان
هروح أخذ اولادى من مدرستهم .

نظر للسيارة وكأنه يعرفها كنت اركب
سيارة عادل ثم مد يده يصافحنى .. ترددت
قليلاً ثم صافحته لم أكن اصافح الرجال لكنه
زوجى برغم كل شئى.

عندما لمست يده يدي شعرت بأننى لامست
الكهرباء كان ينظر لى نظرة غريبة وكأنه
متحير فى أمرى .

عدت إلى البيت بصحبة أولادى لأجد
المحضر يطرق الباب ليسأل عن شقة خالد

أرشدته لها بإشارة من يدي .. فتح الخادم
وقفت خلف الباب لأعرف ما الأمر .

جاء خالد وخلفه باكينام قال المخبر :

- الست زوجتك يا دكتور خالد رافعه قضية
طلاق .

- زوجتى مين ؟

ثم نظر لباكينام وقال بذهول :

- انتى ؟

قالت :

- أنا إيه ؟ إيه الجنان ده ؟

نظر المحضر فى الورقة وقال :

- السيدة ياسمين على الوردانى .

قال خالد بتعجب وإستنكار ..

- مين ياسمين دى ؟

صرخت باكينام فى وجهه قائلة :

- ياسمين مين كلمنى..فهمنى يا خالد ؟

عندما سمعت باب شقة هناء يفتح فتحت
بابى وخرجت أيضاً .. وقع خالد بالاستلام
وإنصرف المحضر .

قالت هناء :

- خير يا دكتور ؟

قالت باكينام :

- وانت مالك دى أمور عائلية .

قالت هناء :

- أمور عائلية يا هانم تبقي فى شفتك لكن
على السلم بيقى حقنا نسال .

دخلت باكينام ودخل خالد خلفها .. أغلقت
باكينام الباب فى وجهنا بعنف .

خبطت هناء كفا بكف .

- إزاي راجل أمور زى ده يتجوز

الحيزابون دى؟ قولى لى يا حبيبتي هى
مراية الحب عميا زى ما بيقولوا ؟

- بس هي ست جميلة فعلاً .

- جميلة .. فين الجمال ده ؟ دي مرسومة
زى عروسة المولد ما فيهاش حاجة طبيعية
.. ولا عصبيتها .

دخلت معها شقتها وحكيت لها ما سمعته من
المحضر بكل براءة .

همست كأن باكينام ستسمعى .

- فيه محضر قال لهم أن مرات دكتور خالد
التانية رافعة قضية طلاق .

هالت هناء وقالت :

- أيوه كدا كده الكلام يبقي مضبوط مهو دي
متنفعش مش شايفه بتعامله إزاي ؟

ثم أكملت وهي تغمز بعينها ..

- وإحنا قمرات وقاعدين من غير راجل
والقردة أم صديري دي بتبيع وتشتري فيه
جتنا نيلة في حظنا الهباب

ضحكت دكتورة أمل وقالت :

- إحنأ فائنا القطر لكن ياسمين لسه صغيرة
- الحقى روك خالد معجب بيكى .

- معجب بيه أنا !

- لا معجب بيا أنا .

- وليه لأ ؟ إنت زى القمر .

- بقولك أنا فائنى القطر .

قالت أمل :

- يعنى اللى لحقوا القطر عملوا إيه تعالى
شوفى المتزوجات بيقولوا اللى لحقها القطر
اتهرست واتفرست وجالها كساح .

ضحكت كثيراً على كلامهم ومرحهم عرفنا
الدنيا جيداً فلم تعودا تهتمان لشيئ .

أما أنا فقد بدأت أخاف .. أخاف أن يعرف
خالد من تكون ياسمين الوردانى .. هل
سيعتبرنى محتالة .. وكيف سيعاملنى

نادتنى فاطمة قائلة :

- دكتور خالد خرج هو ومراته .

أعدت فاطمة طعام الغداء ونادتني لكني
اخبرتها انني لا اشعر بالجوع .. كانت
كلمات خالد ولمسة يده والخوف يسيطر
على .

نمت مبكراً .. كانت هذه أول ليلة أرى فيها
خالد حجازي في نومي .. رأيتني أسير معه
على حلبة الرقص ونرقص معاً حملني
كراقص بالية بيد واحده وضمني إلى صدره
.. إستيقظت سعيدة .

في الصباح إنتظرت حتى خرج من شقته
كنت أشتاق لرؤيته وأردت أن أطمئن هل
علم من هي ياسمين .

فخرجت خلفه ركبت معه الأسانسير ، لا
يزال لساني ينعقد كلما رأيت وجهه الجميل
.

كنت محتاجة للتركيز حتى أتحدث معه
وأفهم منه كل شيء .. كنت غارقة في
أفكاري لدرجة أنستني وجوده بجانبني
محملاً في وجهي .

قال :

- أنا أسف يا ياسمين .. يظهر إنى دائماً
هفضل اعتذر لك كدا.

لاحظت أنه نطق إسمى بدون القاب
فتشجعت وسألته :

- هو حضرتك فعلاً متزوج من زوجه تانية
؟

- أبدأً والله لكن تعرفى إن المحامى قالى
حاجه غريبة .

- إيه هى ؟

- الست اللى رافعة القضية دى تبقي أرملة
أخويا عادل ، والأغرب إن والدى عقد
قرأنى عليها من خمس سنين بتوكيل
ومقاليش .

إدعيت البراءة وقلت :

- بسيطة إسأل والدك .

- للأسف والدى توفى قبل رجوعى من
لندن .

خرجنا من العمارة .. طلبت من البواب
إحضار سيارة أجرة فسيارتى تحتاج
للميكانيكى .

- ممكن أوصلك ؟

وافقت بإبتسامة وركبت معه .

- ولادك فين او مال ؟

- محمد عنده برد خفيف محببتش يخرجوا .

- تفكر يا دكتور ان الست دى زورت عقد
الزواج ؟

- لا معتقدش دى ست فلاحه بسيطة تقريباً
معاها الإعدادية وفاكر إن والدى قالى إنها
يتيمة متربية فى ملجأ .

- ملجأ .. والدك قالك كدا ؟

- أه مره زمان حكالى فى جواب من
جواباته .. كان نفسه إن عادل أخويا يتجوز
واحد تليق بيه .. لكن عادل وقت ما
إتجوزها كان مريض جداً وممكن يكون

إتجوزها علشان تخدمه هو وأمه . يعنى فى
الأول وفى الآخر مجرد خدامة .

رددت بصوت مخنتق بالحنق والغضب

- لكن السؤال ليه والدك يجوزك نفس
الخدامة .

- أكيد علشان .. ولاد عادل هو عايزنى
أربيهم أنا .. ممكن أربيهم لكن مش لدرجة
إنى اتجوز خدامة زى دى ؟ قلت بحزن
ممزوجا بالسخرية

- أكيد طبعاً يا دكتور وخصوصاً بعد ما
شفت الهانم مراتك .

أعتقد أنه إنتبه لنبرة السخرية الواضحة فى
صوتى فقال :

- هى زوجتى عصبية شوية لكن إنسانة
متقفة وراقية ، نشأت فى أسرة عريقة بتتكلم
لغات وتعزف موسيقى وممكنة جداً فى
التنس والسباحة .. إمراة عصرية تشرف
المجتمع اللى تتواجد فيه .

قلت كاذبة :

- أكيد .

- انا طلبت أقابل ياسمين وهطلقها وهديتها
كل حقوقها ولو حبت تتزوج وتترك لى
أولادها أنا مستعد أربيهم .

- إنتَ تعرف عنوانها .

- لا للأسف دعوى الطلاق مفيش عليها
عنوان لكن المحامى هيبحت عن عنوانها
وساعتها هروح لها وأشوف أولاد أخويا

- إنتَ مشفتهمش أبداً !

- لا للأسف لما رجعت البلاد بعد وفاة والدى
رحت أسأل عليهم ، فى ناس قالولى إن
أهم سابت البلاد بقالها سنين ومحدث يعرف
عنوانها .

تعرفى الموضوع ده على قد ما زعلنى
وعمل لى مشكلة مع زوجتى لكنه فرحنى
إنى هعرف مكان ولاد أخويا .. والدى قبل
ما يموت بعث لى رساله وقالى إنه نفسه
أرجع مصر أعيش جنبه وجنبهم .

لم أملك إلا أن أقول

- الله يرحمه .

كنا قد وصلنا .. نزلت من السيارة أمام
بوابة كلية الآداب وشكرته على توصيله لى
ودعنى بإبتسامة ثم أكمل طريقة إلى
مستشفى الجامعة .

وقفت لأفكر قليلاً فى تلك الصور المتشابكة
غير المفهومة التى إنبتقت فى رأسي دون
انتظام .

تركته فى الجامعة وذهبت مسرعة بتاكسي
إلى هناء وحكيت لها كل شئى قالت هناء
التى إستمعت لى وكأنها تستمع إلى حكاية
من حكايات ألف ليلة وليلة.. كانت تقاطعنى
لتسأل عن إحدى التفاصيل المهمة فى
الحكاية .. بعد أن أكملت حكايتى قالت

- كنت حاسة إنك وراكى حاجه مهمة .

- طيب قوليلى أعمل إيه ؟ أسيبه وأطلق ؟

- تبقي هبلة لوسبتيه يروح من إيدك .

- طيب قولى لى اعمل إيه .. ده فاكرنى
يتيمة متربية فى ملجأ وفلاحة جاهلة ..
وإنى كنت بخدم أخوه .

- سيبينى وانا هرتب لك كل شئى النهارده .

ثم إبتسمت وقد إكتسى صوتها بالشغف
وكأنها تقف أمام إحدى الألعاب الخطيرة فى
مدينة الملاهى وقالت :

- من النهارده أنا الساحرة الطيبة وإنى
سنديلا .

ثم قالت وكأنها قد تذكرت أمراً هاماً :

- أه صحيح إستنى .. بعد أسبوع حفلة
السفارة اللى فى الدور الثامن وإحنا كلنا
معزومين .. من هنا ليومها هوضبك على
الأخر يلا بينا .

قلت بتعجب وقد تملكتنى السعادة والرغبة
فى اللعب :

- على فين ؟ هنروح فين ؟

- على أكبر محلات .. هنشترى لبس
وبارفانات ومكياج .

- مكياج إيه بس إنت ناسية إن أنا محجبة .

- هتخطيه فى البيت ومش هفارقك إلا لما
أرجع لك جوزك .

سرحت فى كلامها ..

إستيقظت ليلاً على صوت بكاء إبنتى ..
وجدت حرارتها مرتفعة .. أرسلت فاطمة
لتحضر لها دكتور خالد .

عندما رآها قال :

- متخافيش دى اللوز ملتهبة .. هى بتيجى
لها كتير ؟

- لا ابداً .

- طيب انا عندى خافض للحرارة والصبح
هنودبها لدكتور متخصص .

جلس معى حتى هدأت حرارتها ونامت
فاطمة بجانبها حدثنى عن عادل كثيراً وعن
باكينام وعن والده .. قال لى :

- غريبة عمرى ما فتحت قلبي كدا لحد ..
متهيألى إنى أعرفك من زمان . ممكن
أسألك سؤال ؟

- أتفضل .

- أنا بلا حظ إنك لما بتشوفينى بترتبيكى جداً
.. هل ده حياء ولا شئى تانى ؟

قلت :

- معرفش .. بس أنا كدا مع أى راجل
غريب عنى .

ابتسم وقال :

- لا مظنش .. عموماً أنا همشي والصبح
هاجى أظمن على إيمان .

فى الصباح جاء وجلس معى لتناول الإفطار
ثم قام بتوصيل محمد للمدرسة وعاد به
للبيت بعد انتهاء اليوم الدراسي حتى لا
أترك إيمان .

طهوت له طاجن بامية باللحمة الضانى
وأرز معمر .

كنا نتحدث كل ليلة فى التليفون ونظل
نتحدث حتى الصباح .

إقتربنا جداً من بعض فى أيام مرض إيمان
.. كانت هناء وأمل قد بدأا فى التحضير
للقائى بخالد فى الحفلة .

يوم الخميس أى بعد يومين من الآن .

يوم الخميس ذهبت للجامعة لحضور بعض
المحاضرات ووقفت أمام المدرج فجاء زميل
لى يسألنى عن بعض المراجع .. كنت
أتحدث معه ففوجئت بخالد قادماً من بعيد ..
رأى خالد نظر ناحيتى ثم تركنى وانصرف
.. جريت خلفه لأحدثه

قال :

- انا مش فاضى يا مدام .. والمفروض انت
كمان مش فاضية .. ياريت تشوفى
مذاكرتك وبيتك وأولادك أفضل لك
ثم انصرف غاضباً تأكدت أنه يغار علي ..
كنت فى قمة سعادتى .

لكن غضبه كان قاسياً جداً لقد بدأ يتجاهلني
ويبتعد عني .

قابلته أمام المدرج فابتسمت وذهبت لتحيته
فأدار وجهه قليلاً نحوى دون أن تلاقى
عيناه نظراتى ثم أشاح بوجهه وقال :
- أهلاً .

هل هو غيور لهذه الدرجة .. إن زوجته
متحررة جداً فى ملابسها وهم يكثرون من
الحفلات والضيوف وقد رأيتها تقبل بعض
الرجال لدى انصرافهم من بيتهم وهو
موجود .

ليست غيرة إذاً لقد شعر بغرابة موقفنا فأراد
أن يبتعد عني ، ربما علم من أنا فأراد أن
يظهر لى غضبه واحتقاره .

سقط قلبي فى قدمى حين خطرت تلك
الفكرة ببالى برغم أننى كنت متأكده أنه
قريباً جداً سيعلم من أنا .

هزرت رأسي لأطرد تلك الفكرة من رأسي
. وقلت لا لا مؤكداً لم يعلم من أنا .

كنت أراقبه غير قادرة على منع نفسي من
ذلك ، أنتظره فى ساحة وقوف السيارات ،
أو فى البيت أقف فى الشرفة أنتظر
حضوره .. كم كنت بائسة .

تعثرت أمام المدرج فسقطت الكتب من يدي
فجاء زميلى ذلك وجمعها وناولنى إياها
مبتسماً وحاول أن يحدثنى فرفعت صوتى
لأرد عليه بقسوة .. ندمت عليها فيما بعد ..
فجاء خالد ووقف بجانبى قائلاً :

- أهلاً ياسمين .

لم أصدق تلك المشاعر المتناقضة التى
اندفعت بداخلى كل هذا لمجرد أن نطق
اسمى .. لماذا سمحت له بأن يسيطر على
هكذا .. وأنا اعلم أن ما بيننا سينتهى بعد
أيام .

هو متزوج ويحب زوجته هو لا يشعر بى
على الإطلاق ، هل أصبت بالجنون .. حتى
احبه حقاً ؟

لماذا يبدو صوته محبباً لى هكذا وكأننى
اعرفه طيلة عمرى وليس من أسابيع قليلة .

إستدرت نحوه ببطء .. كنت أعلم تأثير
النظر إلى وجهه حاولت ألا يحمل وجهي
أى تعبير.

دخلت المدرج محاولة أن اتجاهله بقيت
دقائق قليلة لكننى خرجت من المدرج
مسرعة دون أن انظر خلفى وعدت إلى
البيت مسرعة .. أحاول ألا افكر فيه .. لكنه
يعود متسللاً ليسيطر على أفكارى .

عدت مبكراً فلم اذهب لمدرسة الاولاد

سألتنى فاطمة :

- رجعتى بدرى ليه ؟

لم أكن فى مزاج يسمح لى بسماع ثرثرتها .
دخلت حجرتى حاولت أن أنام قليلاً فلم
أستطع فخرجت إلى الصالة وناديت فاطمة
وأخبرتها أننى سأطهو الطعام اليوم وبدأت
بسلق المكرونة وتعصيج اللحم ، سأطبخ
مكرونة بالبانشميل ستأخذ وقتاً كبيراً
ومجهوداً سأشغل نفسي بصنعها حتى لا
أفكر فى شئى .

قالت فاطمة بخيبة امل :

- لكن ده أنا مجهزه حاجة المحشي وسلقت ورق عنب وقورت الكوسة .

- طيب نعمل محشي ومكرونه.. يلا علشان نبتدى .

قالت بتعجب :

- هو فى حد هيتغدى عندنا النهاردة ؟

- لا أبدأ معزمتش حد بس هو إحنا منعملش أكل كويس إلا لو كان حد هيتغدى معنا ؟

بدأت اعمل فى جلبه واضحه فتحت الراديو على إذاعة البرنامج العام .

النهاردة الاحد معاد الإعادة لبرنامج على الناصية . سمعت صوت أمال فهمى الرخيم الجميل ثم لم اسمع شئى بعدها فقد استغرقت فى التفكير فى خالد .. تقلصت معدتى حين خطر ببالي .. لقد لاحظ إنجابى الشديد نحوه فأشفق على .. إنه لا يريدنى أن أحبه لكننى أحبه . وكيف لا أحبه وهو بمثل هذا الذكاء والأناقة والحنان .. أعلم أنه لا يجبى

لكننى أحبه .. لا بأس يمكننى أن أتركه
بمفرده .

بعد اسبوع من الآن سيعلم من أنا ونتطلق .
ثم أحمل أولادى وأعود إلى المنصورة
والتحق بالدراسات العليا هناك أو أعود
للقرى وأربي أولادى .. لازالت أرى
ومزرعتى تنتظرنى .

شعرت بالبؤس فسقطت دموعى ونظرت
لى فاطمة بتعجب وقالت :

- أول مرة أشوف دموعك بتنزى من البصل

أنهيت حشو الكوسة وأنهت فاطمة لف
المحشى ووضعنا الإنائين على النار
ووضعت صينية المكرونة بالفرن .

ثم أرسلت عم منصور ليحضر الاولاد من
المدرسة .. تركت فاطمة تتابع الطعام وقلت
لها :

- بعد شويه إكشفي غطا صينية البط علشان
تتحمر .

قالت فاطمة :

- البط اللى ببيجى من البلد مفيش زيه .

كبرت فاطمة .. سأبحث لها عن عريس
مناسب وسأتحمل كل تكاليف زواجها .تلتزم
هى وعم منصور بتحذيرى لهم ألا يلفتوا
نظر خالد ولا يتحدثوا معه لكن خالد كلما
رأى عم منصور سأله أنا شفتك فين قبل كدا
.فبيتسم عم منصور ويرد قائلا يخلق من
الشبه اربعين يا ابنى

دخلت لأخذ دش .. وقفت أمام المرأة
وأسدلت شعرى على كتفى بدأت أقرن
شكلى بشكل باكينام .. وتساءلت هل أنا
قبيحة الشكل ؟

بعد خروجى من الحمام ارتديت البرنس
ووضعت فوطة على شعرى .فوجئت بخالد
يقف كان يقف أمامى فى صالة البيت ومعه
أولادى .

قال عم منصور :

- الدكتور خالد الله يكرمه جانبنا بعربيته .

قال خالد :

- محمد عزمى على الغدا .. بصراحة
ريحة الأكل تجنن وانا طلبت منه يعزمى ..
باقى لى ساعة على معاد المستشفى .

قال محمد بوقار وكأنه رجل البيت :

- إتفضل يا دكتور أهلاً بيك الأكل هيجز
بسرعة .

تعجب خالد من وقار محمد بالنسبة لطفل
فى السابعة من عمره .

فقلت باضطراب :

- إتفضل .. هدخل اغير هدومى دقيقتين
والأكل يكون جاهز

دخلت فاطمة خلفى قائلة :

- اعمل إيه ؟

- تعملى إيه فى إيه ؟

كنت سعيدة ..

- اسمعى قدمى الأكل النهارده فى السرفيس
الدهبي .

- حاضر .

- وحضرى السفره .

كنت أريد أن أطلب منها وضع بعض
الورود والشموع ولكنى خفت أن تظن بي
شيئ .

عادت فاطمة مسرعة و قالت وهى تضرب
خدها بيدها قائلة

- بسرعة أخرجى .. أبويا قاعد معاه وممكن
الدكتور يجرجره فى الكلام و إنت عارفه
أبويا .

إنصرفت وتركتنى لحيرتى ماذا ارتدى ؟
كان قلبي يدق بعنف .. إرتديت عبائة
مغربي لونها نبيتى مشغولة بتطريز اسود
على الأكمام وعلى الذيل ولبست إيشارب
صغير على رأسى ووضعت غطاء الرأس
الخاص بالعباءه فوقها . اكتفيت بوضع طبقة
خفيفة من الكريم على وجهى وزبدة كاكاو
على شفتى وبعض المسك وخرجت .

رفض عم منصور وفاطمة تناول الطعام
معنا فأكل معهم محمد وإيمان وأعدت
فاطمة المائدة لى أنا وخالد بمفردنا .

تناول خالد الطعام بشهية نظر ناحيتى قائلاً

- مالك ؟

ابتسمت بهدوء قائلة :

- مالى انا كويسة .

- حاسس إنك زعلانه منى .

- أكيد زعلانة لإنك كنت بتتجاهل وجودى .

- مش ممكن اتجاهل وجودك .

- طيب إيه اللى حصل ؟

- ممكن منتكلمش عن اللى حصل واللى
بيحصل لانى مش عارف إيه اللى بيحصل
وليه بيحصل ده .. مش عارف إيه اللى
خرجنى من الجامعة وراكى وجابنى لحد
هنا .. إنتِ عارفه أنا قد إيه مشغول .

لم أستطيع الرد فأكمل قائلاً :

- عارف إن كل اللي بيحصل ده غريب
ومش طبيعي .. ومش مفروض أستسلم له
.. أنا تعبت وأنا بحاول أبعد عنك .. حاولي
إنْت تبعدى .

- إنْت عاوزنى أبعد بجد ؟

تركنى وخرج وأغلق الباب خلفه بهدوء تام

ما عدت أعرف كيف أتنفس ، هل معنى
كلامه أنه يحبني ؟ هل هذا تصریح بالحب ،
كانت نظرات عينيه حارقة ، كانت مشاعر
مبهمة تنمو فى هدوء وصمت وتتجمع كما
تتجمع السحب فى سماء توشك على البكاء
عطراً ، تزحف أحاسيسي برعونة لذيذة .

منحنى كلمة .. مجرد كلمة ، وإبتسامة ..
مجرد إبتسامة ، مزق بهما كل دروعى
وألقانى بهما جثة هامدة على قارعة
الطريق.

ظلت مشوشة حتى نمت .. عندما إستيقظت
كان صعباً علىّ تصديق أن خالد كان هنا
وأنه قال ما قاله .

هل كنت أتخيل .. هل حقاً كانت تلك النظرة
فى عينيه موجهة لى .. مؤكد أن ما حدث
كان حتماً إختلط بأمنياتى فصدقته .. كان
حتماً نعم .

وجدت فاطمة تشاهد التلفزيون فسألتها :

- هى الساعة كام ؟

- الساعة ٨ .. كدا تنامى وتضيعى صلاة
المغرب .

- ليه مصحيتينيش ؟

- حاولت والله بس شكلك كان تعبان .

- فاطمة هو حد جه هنا وإتغدى معانا .

- اسم الله عليكى يا ست .. الدكتور خالد
إتغدى معاكى .

إذا لم يكن ما حدث حتماً .

فى الصباح إنتظرت خروجه فخرجت خلفه
. أصابنى الرعب عندما خرجت باكينام
خلفه نظرت لى بغضب وإحتقار فتجمدت

تحية الصباح على شفنى .. إبتسم هو فى
وجه محمد وإيمان ..

- صباح الخير يا فلاسفة العمارة .

ثم قال لى :

- صباح الخير يا دكتورة .

رددت بهدوء "صباح النور" ثم أشحت
بنظرى عنها .

ركبت سيارتها وإنطلقت مسرعة ، وجدته
ينظر ناحيتى ويبتسم ابتسامة خبيثة .

- ممكن توصلونى الجامعة .

نظرت له بحذر وريبة قال محمد :

- على الرحب والسعة دكتور .

قال :

- فشلت فى البقاء بعيداً .. أنا بستسلم .

سألته مرة أخرى :

- بستسلم ؟ وهو ينفع تستسلم .

قالت إيمان :

- زى توم وجيرى يا ماما لما جيرى رفع
الراية البيضا .

إحتضنها مبتسماً وقال لى :

- إنتِ يا ياسمين عندك كل إالى أنا محتاجه
. انتم بتكملونى .. قبل ما اعرفكم مكنتش
عايش إنتم صفعتونى وفوقتونى .

(٢١)

فى يوم الحفل تفتنت أمل وهناء فى تزيينى
كنت خائفة ترتعش أقدامى وأسأل نفسي من
أنا هل أنا ياسمين اليتيمة أم ياسمين الأرملة
المكلومة أم طالبة الجامعة ، لاحظت
الشقيقتان حيرتى وأضطرابى فأقبلتا نحوى

قالت أمل خدى حقك بإيدك وقالت هناء

على الأقل حاولى تستمتعى بالحفلة ..التغيير
مطلوب والنشاط حلو إنت صغيرة وجميلة
وحرام تدفننى نفسك فى الماضى

أدرت عينى بينهما كنت خائفة

قالت أمل لازم تظهري جميلة كأجمل ما
يكون ومتألقة

لقد كنت أتهياً لألقى سعادتى معه .فأنا
بدونه أشعر أن قلبى فارغ ...يريد أن يمتلىء
وأن نفسي ساكنة كسلة تريد أن تعمل
وتتنشط و أن حياتى كلها صارت مرهونة
به وبحكايتى معه ..فأنا بدونه حائرة دون

أن أعلم مصدر هذه الحيرة .. هائمة دون أن
أعلم موضوع هذا الهيام .. مشوقة دون أن
أتبين غاية هذا الشوق .

ولكن سماء حياتى الهادئة أزدحمت بالسحب
ثم خفت فيها البروق وقصفت فيها
الرعود.. ثم ثارت العاصفة وحطمت كل
أمل وغيرت كل اتجاه .. الليلة سيعرف خالد
من أكون وأنهى أو أكمل قصتى معه

بدأت أسير معهم وهن راضيتان عن
مظهرى وزينتى راضيتين عن كل شئ إلا
وجهى الذى ينقصه الابتسام والإشراق

ذهبت للحفل .. فى ثوب من الحرير الأسود
. كان الحفل تحت إشراف صديقة أمل
الموظفة بالسفارة .. طلبت منى أن أعزف
مقطوعة موسيقية .

بدأت أعزف على البيانو ، لحن من ألحان
شوبان كان خالد ينظر لى بانبهار ، ولا
أدرى أكان يشعر بى صعدت كل الدماء
التي فى جسدى إلى وجهى فأرى ابتسامة
حلوة على وجه هناء وقفت أمل بجانبه

تحدثه . بعد العزف وجدته يطلب منى أن
أرقص معه .

همست هناء في أذنى :

- روى منتكسفيس ده جوزك .

وفعلاً رقصت معه الفالس . قال :

- جاريني فقط في خطواتي .

لكنى كنت قد تدربت على هذه الرقصة مع
أمل التى أخبرتنى أن خالد بارع فيها ،
كانت أمل قد استطاعت أن تعرف كل شئ
عنه ، وفعلاً إستطعت أن أبهره .

بعد الرقص لاحظت أن الحلبة لم يكن فيها
سوانا أنا وخالد . عندما كانت تلتقى عيوننا
كنت أبتسم بهدوء برغم الطبول التى تدق
فى قلبى ، أما هو فكان يبتسم لى إبتسامة
جميلة .

توقفت الموسيقى .. فتعجبت هل توقفت
دقات قلبى وصعدت الدكتوراه أمل بصوت
مرتفع :

- حيوا جميعاً دكتور خالد حجازى وزوجته
ياسمين على الوردانى .

نظر لى خالد وقد فغر فاه ..

- ياسمين .. إنتى ياسمين؟!!

تركته وجريت خارج السفارة . قالت هناء :

- تماماً كسيندريلا عندما تركت الحفل ،
لكن الفرق أن الأمير الجميل يعرف مكانها

سمعت طرقات على باب البيت ، فتح عم
منصور . سمعت صوت خالد من خلفي
يقول :

- ياسمين لازم نتكلم ، ليه معرفتيني؟

- كنت هقولك ايه ؟ عموماً أدى إنت عرفت

- ناويه على ايه ؟

- أنا بردو ؟ خفض صوته ونظر فى عيني
قائلاً

- إنتِ طلبتي الطلاق .

- وانت موافق ؟

- ده كان زمان .. لو كنت أعرّفك من زمان
كنت إتجوزتك حتى قبل عادل مايعرفك .
إحكيلي عنه كل شئ .

بكيت وإنتفضت ، جاءت زوجته خلفه
تطرق الباب بعنف .. فتحت فاطمة الباب
فأزاحتها باكينام بعنف وقالت بصوتها الحاد
العنيف .

- هو إيه ده يا خالد هي دي ياسمين ، هي
دي اللي قتلتي عليها إنها فلاحه وجربوعه .

قال خالد :

- بلاش تغلطي .

قالت باكينام :

- طلقها حالاً .

قال خالد :

- لا مستحيل ده يحصل .

يعنى إيه يعنى عايز تعيش معاها إنت
بتحبها ؟

أنا فعلاً بحبها .

ثم نظر لها وقال :

- هتفضلوا انتوا الإثنين على ذمتى .

- على ذمتك ؟ إحنا الاتنين ؟ إنت صحيح
فلاح جربان زيها ، حاولت أنضفك وأعملك
بنى آدم ، لكن دايماً بتحن للطين اللى جاي
منه .

قال لها :

- إنتِ طالق .

رأيت أمل وهناء خلفها ، أسنداها عندما
سقطت مغشياً عليها ، لم أشفق عليها . قال
لى :

- إنتِ ببساطتك ورقتك قدرتى تخلىنى أفوق
من الكابوس اللى كنت عايش فيه .

بعد أن صرنا بمفردنا قال معاتباً :

- ليه مقولتليش من زمان ، ضيعتى علينا
عمر طويل .

- أقولك إيه ؟ إنت مسألتش عنى ولا عن
ولاد أخوك ولا دورت عليهم .

- حمار .. أنا حمار . وبحبك قوى وبموت
فيكى أعمل إيه .

- بكره ميعاد جلسة المحكمة . ذكرته .

- إنسى المحكمة والدنيا كلها وخلينا هنا ،
دى ليلة فرحنا اللي إتأجلت خمس سنين .

عشت مع خالد أجمل أيام عمرى وعودنى
الله به عن أيامى الحزينه ، فى البداية
غمرتنى السعادة فصرفتنى عن الحياة وعن
الأحياء وأنستنى الناس والأشياءومحى
الماضي بأكمله فكل سعادة فيه لا تقارن بما
أحياء الآن وكل جراح به قد برأت منها لقد
دواتنى السعادة ولقد طهرتنى السعادة ولقد
طيببت خاطرى ولقد جبرت كل كسور قلبى
ونفسي لقد كنت سعيدة فلم أطلب إلا المزيد
ولقد كنت محبة فلم يزدنى القرب ممن
أحب إلا عشقا . لكنى لم أسمح لنفسي ولم

يسمح لى خالد أن أقصر فى أولادى
ودراستى حتى بعد أن علمت بحملى كنت
أذاكر معه ومع أولادى وأحفظ مع أولادى
القرآن...تزوجت فاطمة وجاء زوجها
ليعمل سائقا عندنا

حصلت بمساعدته على الماجستير
والدكتوراه وأكملت حفظ القرآن الكريم.....
نحن الآن فى مكة المكرمة . أكتب الصفحة
الأخيرة من قصة حياتى .أخر صفحة فى
دفتر المذكرات التى أهدانى إياها خالى
فتحى فى أول يوم فى المدرسة الداخلية
بالقاهرة

أنا أحج عن جدى وهو عن والده الذى
ترحمت عليه كثيراً ، فبرغم ظلمه لى إلا
أنه جمعنى بخالد وزوجنا ، إستطعت بفضل
الله التأثير فى حياة خالد الذى صار يواظب
على الصلوات وكان يقترب من الله كل
يوم أكثر من اليوم الذى قبله . رزقنا بولد
وبنت فصار لدينا أربع أولاد أكرمنا الله
بتربيتهم وتنشئتهم بطريقة صحيحة ، كثيراً
ما كنا نزور قرينتنا . إشتريت بيت جدى من

أخوالى وقمت بترميمه وتجديده وحولته إلى
جمعية للمحافظة على القرآن الكريم
وأسميتها بإسم جدى .

كنا نقضى الصيف فى فيلا الإسكندرية .
قالت لى جارتى :

- إنتِ مدام حجازى ؟

قلت :

- نعم أنا مدام حجازى . وأولادى أولاد
عادل وخالد حجازى .

النهاية